مهرجان القراءة للجميع



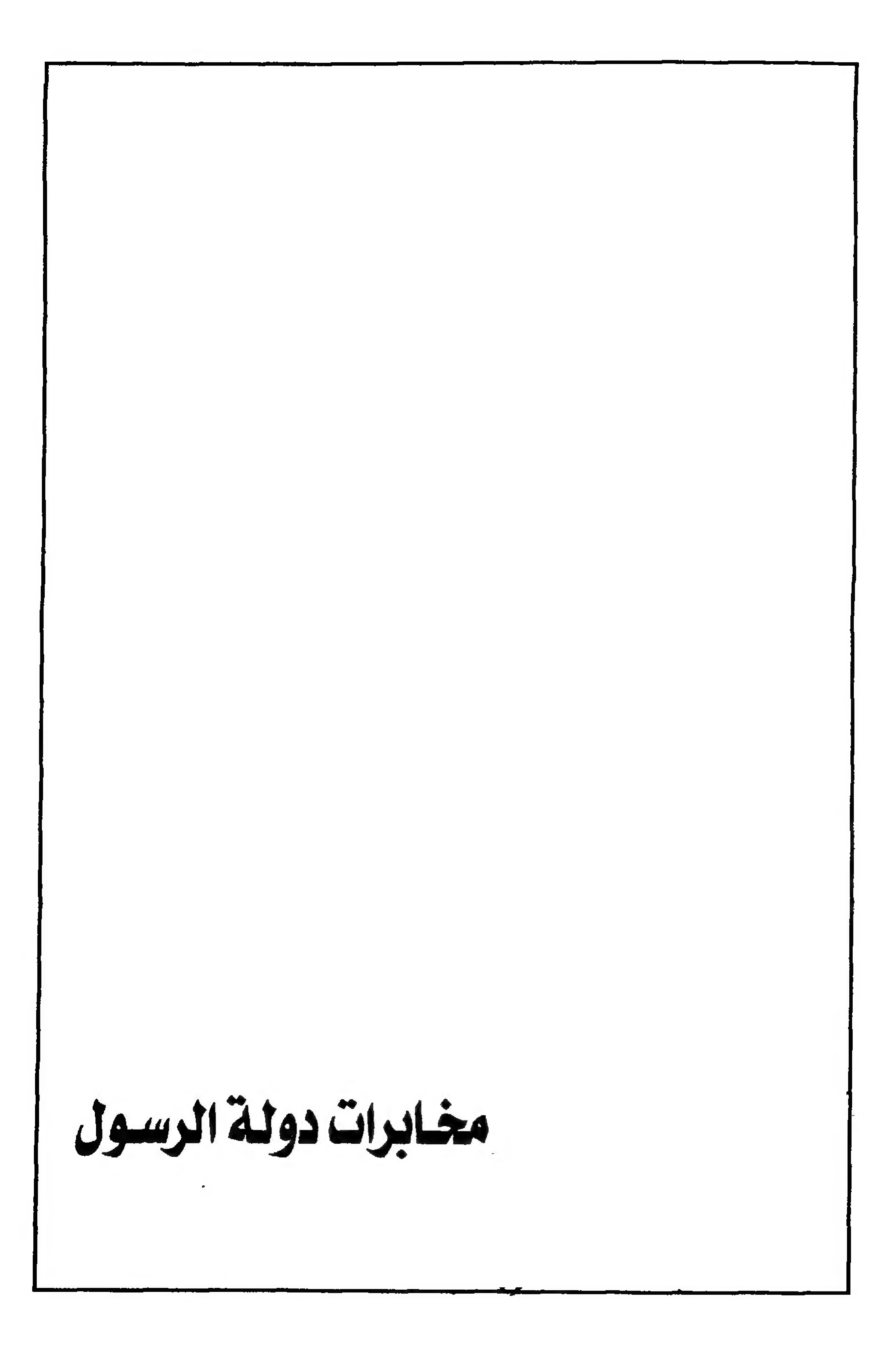
مخابرات دولة الرسول

محمد الشافعى

الأعمال الخاصة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



مخابرات دولة الرسول

لوحة الغلاف

اسم العمل: خارطة مكة المكرمة
التقنية: ألوان مينا على قيشانى

اللوحـة المنشورة على الغـلاف؛ هى صـورة لخـارطة مكة المكرمة والكعبة المشرفة، وقد رسمت على القيشانى (قطعـة قيشانى تركـية)، وقد ظـهر عليـها اسم الصـانع (عــمل أحــمـد)، بالإضـافــة إلى التـاريخ (١٠٧٣هـ)، ويلاحظ مــوضع الأباريق بالنســبــة إلى زمــزم وإلى الميضأة.

ازدهر فن صنع القـيـشـانـى وتزيينة لدى العـثـمـانيين، واشتهرت بعض البلدان الإسلامية عالمياً بقيشانياتها التى يزين أغلبها كبريات متاحف الخزف فى العالم.

محمود الهندى

مخابرات دولة الرسول

محمد الشافعى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

مخابرات دولة الرسول

محمد الشافعى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سـبيل التقـديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

الإهـداء ...

إلى زوجتى ..

التى تساعدنى كثيراً ولكنها تتعب سريعاً، أهمس لها . . الفوز دوماً آخر المشوار فويل لمن يسقطون فى المنتصف . .

محمد الشافعى

●●*●*



مقدمة

الأحلام الكبيرة . . لا تضيع أبدًا

أعتقد أن الأحلام الكبيرة . لا تضيع أبدًا ... خاصة إذا كان الحالمون بها من أولى العزم الذين يجاهدون ويجتهدون لتحقيق أحلامهم فإن إعيتهم السبل جاهدوا ليدركوا أقصى ما يمكن إدراكه من حلمهم الكبير... فهذا الجهد المتواضع الموجود بين دفتى هذا الكتاب يمثل أقصى ما أمكننى إدراكه من حلمى الكبير الذى بدأ قبل أربع سنوات حين أزمعت القيام بإعداد موسوعة ضخمة عن عالم المخابرات والجاسوسية منذ بدء الخليقة وحتى الآن تحت عنوان (المخابرات من العسس إلى أقمار التجسس) وقد طرقت كل الأبواب التى قد تساعدنى فى إنجاز هذا العمل الضخم فإلتقيت أولاً مع خبير المخابرات المصرى العالمى البطل محمد نسيم الذى أبدى ترحيبه وسعادته بالفكرة على إعتبار أن المكتبة العربية تفتقد إلى مثل هذه الموسوعة وأخبرنى بأنى سألاقى الكثير والكثير من المصاعب والمتاعب وأوصانى بالصبر والمثابرة خاصة فى ظل ندرة أو إنعدام المراجع فى هذا المجال ... وبعد هذا اللقاء المشجع مع البطل محمد نسيم ذهبت إلى إدارة المخابرات العامة وبعد أكثر من زيارة للمبنى اكتشفت أنه من الصعب جدًا إستعارة أو الاطلاع على المراجع الموجودة فى مكتبة الادارة وكان من رأى أحد المسئولين بالادارة أن هذا العمل ضخم جدًا

لدرجة تجعل من المستحيل على الجهد الفردى الإحاطة به وأخبرنى بالعديد من المحاولات السابقة لتقديم دراسات محدودة عن عالم المخابرات والجاسوسية فى عصر محدد أو فترة زمنية محددة وأكد أن هذه المحاولات قد لاقت العديد من الصعاب مما جعل أصحابها يتوقفون عن السير فيها .

ورغم ذلك لم يصبنى اليأس ولم يصب عزمى بالوهن لأنى كنت ومازلت مؤمن بأن الحضارة الإنسانية فى كافة مراحل تطورها تأتى كنتاج أساسى للحروب والمعارك العسكرية وأن الحروب والمعارك العسكرية لا يمكن أن تتم إلا على ركائز قوية من أعمال المخابرات والجاسوسية ولذلك فقد كنت أعتقد أننى لو استطعت دراسة (تاريخ الحروب) فى العالم منذ بدء الخليقة وحتى الآن لاستطعت من خلال هذه الدراسة إعداد الموسوعة التى أحلم بها وقررت رغم كل الصعاب والمتاعب أن ابدأ إعداد هذه الدراسة الموسوعية . ورغم الجهد الكبير الذى تم إلا أن قلة المراجع ظلت قيدًا يعوق الحركة ويمنع التقدم إلا بشق الأنفس .

وفى ظل كل هذه الصعاب والاحتياطات جاءت (جائزة السماء) لكى تؤكد ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾ فقد اكتشفت أثناء عمليات البحث والتنقيب فى تلك المراجع القليلة أن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ إلى جانب عبقريته العسكرية فهو أيضًا يمتلك عبقرية نادرة فى دنيا المخابرات ولأنى كنت ومازلت من المؤمنين أن الإعجاز فى شخصية رسول الله عليه الصلاة والسلام يكمن فى بشريته وفى

عبقرية رؤاه الإنســــانية فى كل إجتهاداته فقد وجـدت فى (العبقرية المخابـراتية) عند الرسـول ﷺ ما يزيـدنى إيمانًا بالإعجـاز البشرى فى شخصيته عليه الصـلاة والسلام وسوف نكتشف معًا مـن صفحات هذا الكتاب أن الرسول الكريم قد سبق الزمن بمئات السنين ليبتكر أساليب وطرق فى عالـم المخابرات لم يعرفها العالم إلا فى الحربين العالميتين الأولى والثانيـة مثل ما اصطلح على تسميتـه (الأوامر المختـومة) وهى خطابات مغلقة يحملها رجل المخـابرات ولا يفتحها إلا فى مكن بعينه وزمان محدد ثم ينفذ مـا فيها. إضافة إلى عبقرية الـرسول عليه الصلاة والسـلام فى تحليل المعلـومـات التى تصل إليـه من رجـال مخابـراتـه تحليلاً علميًا رائعاً يجعله يبنى علـى تلك التحليلات خططه العسكرية التى كـانت نـاجحـة فى كل الأحـوال وإن حـدث بعض الخطأ مثلمـا حدث فى (غزوة أحد) فلم يكن ذلـك راجعًا إلى قصور فى الخطة التى رسمها الـرسول عليه الصـلاة والسلام ولكن ذلك يرجع إلى عـدم تنفيذ الخطـة المرسـومة قبل المعـركة. وقـد كان رسـول الله ذلك النبى الأمى الذى غير وجـه التاريخ يعطى أهمية كبيرة لكل أعمال المخـابرات فله دوماً عيـون مبثوثة فى كل الأمـاكن التى تهم الدولـة الإسلامية الـوليدة وبشكل خاص تلك الأماكن التى تحمل بعض التوتـر الذى قد يجعلها عـوامل قلق للإسـلام أو للمسلمين. كما ابتكـر الرسـول عليه الصـلاة والسلام العديد من طرق الإخفاء والتمـويه على الأعداء كما أن نصائحه إلى رجال مخابراته مـازالت حتى الآن تمثل النصائح الذهبية لأى رجل مخابرات فى العالـم.

وللحق فإننى أجد فى هذه الصفحات التى أرصد من خلالها لعالم (مخابرات الرسول) نوعًا من (الجوائز الإلهية) الغظيمة تعويضًا لى على ذلك الجهد الذى بذل وعلى ذلك الحلم الذى لم يتم وإن كنت قد وضعت خلال هذه الصفحات جزءاً لا بأس به من حلمى وذلك من خلال الفصل الذى يأخذنا فى سياحة تاريخية فى عالم الجاسوسية والمخابرات بل إننى قد التزمت فى إعداد هذه الدراسة عن مخابرات الرسول بنفس المنهج الذى كنت سأنتهجه فى إعداد المو سوعة الكبرى عن المخابرات حيث قمت برصد أعمال المخابرات عند الرسول ﷺ من خلال عملية تحليل لكل الغزوات والسرايا التى تمت فى عهده عليه الصلاة والسلام وبعض هذه الغزوات والسرايا تمت بقيادة الرسول شخصيًا وبعضها ألآخر تم بقيادة العديد من الصحابة الكرام.

وفى النهاية أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية لإجتهادات أخرى تعمل على رصد كل جوانب (العبقرية البشرية) عند رسول الله ﷺ تلك العبقرية الإنسانية التى تمثل زادًا لا ينفذ لكل الباحثين والدارسين.

●▪●▪●

محمد الشافعى

كفر الشرفا القبلى

١٩٩٦/٧/٥

الفصل الأول ....

المخابرات والجاسوسية فى المعاجم والتفاسير

عشرات الصفحات فى كل المعاجم اللغوية، وكتب الفقه والتفاسير، تشرح معنى المخابرات والجاسوسية. وحتى لا تقع فى حيرة المقارنات والاختلافات، فسوف نقدم (المضمون) الذى اتفقت عليه كل هذه الكتب، حول معنى الجاسوسية والمخابرات . .

ويقول علماء اللغة . . إن التجسس نابع من الجس. والجس هو اللمس باليد وموضعه المجسه. أى يجسه جساً وأجتسه أى مسه ولمسه. وجس الشخص بعينيه أى أحد النظر إليه ليستبينه ويستثبته وهو مجاز حيث أن الجس هو اللمس باليد بإعتبار ما فيه من معنى الطلب باللمس لأن من يطلب شيئا يجسه ويلمسه. وإستعماله فى غير اليد مجاز كالقول جسه بعينيه ومنه قول الشاعر:

وفتية كالذئاب الطلس قلت لهم ... إنى أرى شبحا قد زال أو حالا

فأعصوصبوا ثم جسوه بأعينهم ... ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا

وجس الأرض جساً أى وطئها .

والجسَّاس هو الأسد لأنه يؤثر فى الفريسة ببراثنه ومنه جس وهو اسم صوت لزجر البعير.

ومنه الجاسه وهى الحاسه من الحواس الخمس و جمعها جواس ،

وحـواس الإنسـان معروفـه وهى خمس : اليـدان والعينـان والفم والشم والسمع .

وجس الخبـر أى بحث عنـه وتفحـص . وتجسس الأمـر إذا تطلبـه وبحث عنـه، ومنـه التجسس . حيـث يقـال تجسس الأمـر إذا تطلبـه وبحث عنــه على وزن (تفعل) كمــا أن التطلب من اللمس لمــا فى اللمس من الطلب .

وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء﴾ [الجن آيـة ٨] وقيل إن التجسس بـالجيم يعنـى البحث عن العـورات او تتبع الظواهر وقد ورد قوله تعالى ﴿ولا تجسسوا ﴾ [الحجرات آية ١٢] أى : ولا تبحثوا عن عـورات المسلمين وتستكشفوا عمـا ستره الله تعـالى كما ورد فى قـوله تعـالى ﴿ يـا بنى اذهبـوا فتحسســوا من يـوسف وأخيـه ﴾ [يوسف آية ٨٧] . وفيه معنى طلب الأخبار عنه .

وفى تفسيـر القـرطبى أن التجسس بـالجيم هـو (البحث عمـا يكتم عنك) وقد ورد فى الحديث الشريف ذكـره صراحة فى معنى النهى عنه حيث قال ﷺ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تـدابزوا ، وكونوا عباد الله إخوانا) صحيح مسلم .

وقد أفرد البخـارى باب للجاسوس سماه (بـاب الجاسوس) وأورد الآية ﴿ يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوى وعــدوكم أوليـاء ﴾ [الممتحنة : آية ١] .

وقـد ذكـرت معظم كتب الفقه الجـاسـوس بمعنى العين وأن العين هـو الجاسوس. وقـد ورد تعريف الجاسوس فى كتـاب الخرش على خليل بأنـه الشخـص الـذى يطلع على عـورات المسلمين وينقـل أخبـارهم للعدو.

وقد ورد التعريف بالجاسوس فى دائرة المعارف الإسلامية بما يلى:

الجاسوس: كلمة تـدل على المعنى المعروف، وهى ترد متـلازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب، ومن ثـم فإنه لا يمكن فى جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيـع أن يناقش إحداهما دون الرجـوع إلى الأخرى، على أن الظـاهر هـو أن كلمة جـاسوس تستعمل بصفة أخص للدلالة على العين يرسل بين صفوف العدو.

وقد عرفت الجاسوسية بأنها مهنة الجاسوس.

كما ورد تعـريف الجاسوس فى القانـون الدولى العام بمـا يلى: هو الشخص الذى يعمل فى خفية أو تحت ستـار مظهر كاذب، فى جمع أو محاولـة جمع معلومات عن منطقـة الأعمال الحربية لإحـدى الدول المحاربة بقصد إيصال هذه المعلومات لدولة العدو.

ويستنتج مما سبق أن التجسس هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصـة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الاطلاع عليها، والاستفادة منها فى إعداد خطة المواجهة.

والجـاسوس بـالنسبة للمسلمين إمـا أن يكون مسلمًـا مجاهـدًا فى سبيل الله يجمع المعلومات عن العـدو لصالح المسلمين ويخلص لله

ولرسوله وللمؤمنين فيستحق التقدير والمكافأة من القادة والمسؤولين، وإما أن يكون عدوًا لهم سواء أكان أجنبيا أم من المسلمين، حيث أن الجاسوس المسلم الذى ينقل أخبار المسلمين للعدو أشد خطورة من جاسوس الأعداء.

أما عن المخابرات فيقول علماء اللغة أنها تشتق من الفعل خبر ومنه خبرت الناقة أي تخدر لبنها وخبر الشيء خُبرًا وخبرةً ومخبرة أى بلاه وأمتحنه وعرف خبره على حقيقته فهو خابر ويقال من أين خبرت هذا الأمر؟

ويقال لأخبرن خبرك أى لأعلمن علمك..

ويقال خبره بالأمر (أخبره) بكذا أى أنباه.

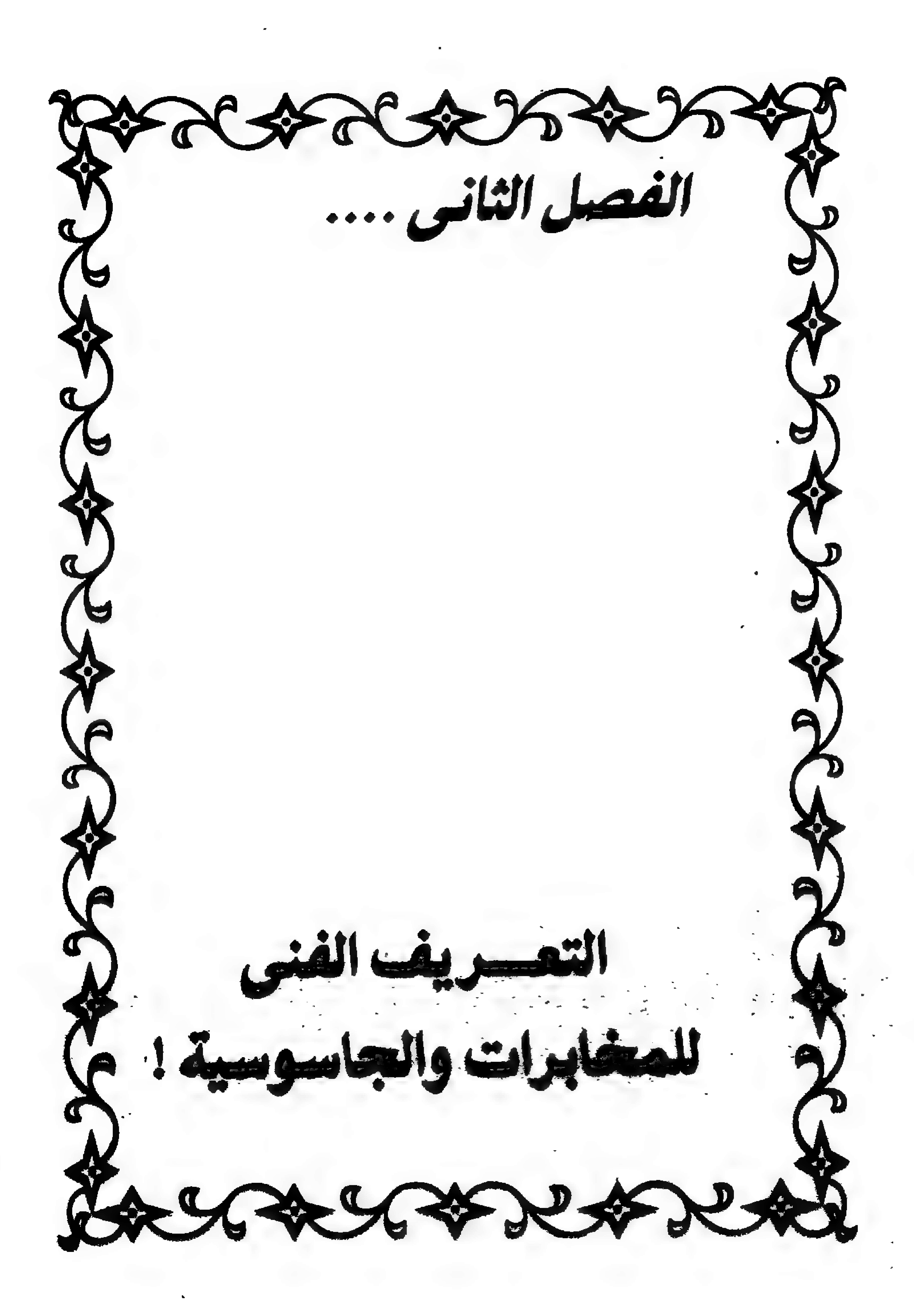
وخابره أي زارعه مخابرة وبادله الأخبار (محدثه) خبره بكذا أى أخبره به.

وتخبر الخبر أى سأل عنه وتخبر الشيء أي عرفه على حقيقته وفى حديث الحديبية (أنه بعث عينا من خُزاعة يتخبر له خبر قريش) أي يتعرف له.

واستخبره أى سأله عن الخبر طلب أن يخبره به. ويقال استخبر الخبر.

والمخبار ما يختبر به الشيء. والمخبر من يزود الصحيفة بالأخبار.

■■*■



الفصل الثانى ....

التعـــريف الفنى للمخابرات والجاسوسية !

التعريف (الفنى)للمخابرات والجاسوسية !

بعد أن قدمنا فى الفصل الأول إجتهادات علماء اللغة والفقه والتفسير حول (المعنى اللغوى)للمخابرات والجاسوسية كان لابد لنا حتى نحصل على (المعنى الكامل) لهاتين الكلمتين أن نبحث عن (المعنى الفنى) لهما وهذا المعنى الفنى يتواجد فقط عند(علماء) الجاسوسية والمخابرات وسوف نقدم فيما يلى بعض الاجتهادات الفنية والعلمية حول معنى المخابرات والجاسوسية.

بداية نؤكد على أنه من الصعب أن نجد تعريفا محددًا يتضمن كل ما يمكن أن يعتمل به تفكير الإنسان عند سماع كلمة (مخابرات) بحيث يستطيع بسهولة أن يلمس كل ما يمكن أن تضيفه هذه الكلمة من حيث مفهومها وطبيعتها وأبعادها وكل ما يتعلق بها وقد نجد كلمة مخابرات مقرونة بكلمات أخرى مثل (المخابرات التكتيكية ـ المخابرات الإستراتيجية ـ المخابرات العلمية ـ المخابرات الإقتصادية. . إلخ. .)

وقد تستخدم كلمة مخابرات إستخداما مزدوجًا فهى تعنى أحيانا عمليات المخابرات نفسها وأحيانا تعنى (نتائج وثمار هذه العمليات) أى حصيلة المعلومات التى تتحصل عليها المخابرات وتعنى كلمة مخابرات فى الانجليزية (معلومات) وهناك تعريف للمخابرات يقول

(إنهـا المعرفـة والعلم بـالمعلومـات التى يجب أن تتـوافـر لدى كبـار المسؤلين من المدنيين والعسكريين حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومى).

وفى عام ١٩٥٥ شكلـت أمريكا لجنـة لدراسـة نشاط المخـابرات وهى(لجنة تنظيـم الإدارة التنفيذية للحكـومة) بـرئاسة هيـربرت هـوفر وعرفت فيما بعد بـاسـم (لجنة هوفر) وقامت بوضـع تعريف للمخابرات تضمنه تقريـرها إلى الكونجرس وهو (المخابـرات هى عملية الحصول على كل الأمـور التى يجب أن نعرفهـا قبل البـدء فى العمل وهى التى تعالج كل هـذه الأمور التى يجب أن تكون معـروفة مقدمًـا لتنظيم خطة العمل).

وأضاف أرثر رادفورد أحد كبار رجال البنتاجون قائلاً (إن وضع القرار أو صياغة العمل الذى يجب أن يقوم به أحد المسؤولين عندما تتوافر له معلومـات غير كاملة لن يكـون واضحاً و المخابـرات الجيدة هى التى تقلل من متاعب وضع الرأى ومن صعاب صياغة القرار).

وقـد ورد فى قـاموس المصطلحـات العسكـرية لأمـريكا تعـريفـا للمخابرات يقول (المخابرات هى نتيجة جمع وتقييم وتحليل وإيضاح وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلـومات عن أى نواحى لدولة أجنبيـة أو لمنـاطق العمليـات والتى تكـون لأزمـة لـزومًـا مبـاشـرًا للتخطيط . .)

ويقول لاديلاس فـاراجو الذى ولد بالمجـر وعمل صحفيا وكنت له

تجارب مثيرة فى عالم المخابرات يقول عن المخابرات (إنها تعنى فى صورة ما القدرة على فهم وتقدير الآراء وتعنى المعلومات التى يتصرف الناس الذين تخصصوا فيها بالكيفية التى يعالج بها رجال الصحف الأنباء. وتعريف معاجم اللغة لهذا النوع من المعلومات هو(المعلومات المنقولة) أى المعلومات التى لا تبقى فى ذهن شخص واحد ولكنها تنتقل منه إلى غيره وفى الوكالات التى تخصصت فى هذا النشاط توصف المخابرات بأنها المعلومات المقدرة القيمة التى تقررت درجة الثقة بها وبمعناها وأهميتها).

ويعرف واشنجطن بلات المخابرات بأنها(عبارة عن بيان ذات معنى يؤخذ من معلومات تم إختيارها وتقييمها وتفسيرها وأخيرًا يصاغ ذلك البيان بطريقة تجعل أهميته واضحة تمامًا فيما يختص بمشكلة السياسة القومية).

وقد وصف الليفتنانت جنرال جيمس دوليتل عمليات المخابرات فقال (الحصول على المعلومات وجمعها شيء وتصنيف وإيضاح هذه المعلومات شيء ثان أم إستخدامها فهو أمر ثالث غير الأولين).

أما تعريف دائرة المعارف البريطانية للمخابرات فقد كان (المخابرات هى جمع المعلومات عن خصم أو بحتى عن حليف أو عن دولة محايدة. والمخابرات المضادة عبارة عن تأمين الأسرار الخاصة بالدولة ذاتها. والمخابرات وإن كانت تهتم اساسًا بمسائل الحرب والدفاع وقت السلم إلا إنها تهتم أيضا بجمع المعلومات

الدبلوماسية والإقتصادية والصناعية وتأمين تلك المعلومات).

وفى حوار للمشير الراحل أحمد إسماعيل على عندما كان رئيسا للمخابرات العامة المصرية (لمجلة المصور) أشار إلى أن الإصطلاح العربى (مخابرات) لا يستوعب جميع واجبات المخابرات وقد يكون الإصطلاح الأجنبى (Intelligence) هو الأدق وترجمته الحرفية تعنى (أجهزة ذكاء) أى معرفة وتعرف كاملين وقدرة على إستخدامها والإفادة منها.

وقد قال شير ماكنت (لو كانت السياسة الخارجية هى درع الدولة كما يقول وولترمان فإن المخابرات الإستراتيجية هى الشيء الوحيد الذى يجيء بهذا الدرع إلى المكان الصحيح له وفى الوقت المناسب ثم هى أيضا الشيء الذى يقف على اتم الأهبة لتوجيه السيف).

وبذلك فقد اتفق الجميع على تفسير كلمة المخابرات بإنها المعلومات فى مراحل متعددة مرحلة جمعها ومرحلة وضعها فى الشكل الذى يجعلها ذات فائدة ومرحلة الإستعادة).

وفى النهاية يمكن أن تقول عن المخابرات إنها (الخطى المتناسقة المدروسة والموجهة لإستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات الواقية فى الوقت المناسب لوضع إستراتيجية الدولة ولرسم سياسات معينة ولإتخاذ القرارات السليمة التى تكفل سلامة الأمن القومى للدولة والعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من

إلحاق الضرر بالدولة فى أية صورة من الصور . ومن هنا فإن تعريف المخابرات ينقسم إلى مستويين : الأول هو المعنى العادى ويتضمن القدرة على التعلم والإستفادة من التجارب والاستجابة السريعة لأى موقف جديد أما المعنى الفنى للمخابرات فيحدد بوضوح مهمتها وواجباتها لأن المخابرات كعملية أو كنشاط تعنى المجهود المنظم لجمع المعلومات وتقديرها قطعة قطعة وتجميعها معا حتى تتكون منها صورة أكبر وأكثر وضوحا إلى الحد الذى يمكن من رؤية الأشياء المتوقعة أى إنها نشاط متواصل لإختراق الضباب المخيم حتى يمكننا أن نرسم خطط الغد .

وقد جاء تعريف الجاسوسية بين الدول فى دائرة المعارف البريطانية كما يلى (إنه محاولة للحصول بطريقة سرية أو بوسائل ادعائية مزيفة على معلومات عن جكومة ما من أجل حكومة أخرى والجاسوسية تمارس منذ آلاف السنين الكثير من الحكومات تستخدم جواسيس ومخبرين وعملاء سريين لكى يزودوا الهيئات التى تستخدمهم بالمعلومات والأحوال والأنشطة والآراء والعلاقات التى تسود أهل البلد الذى يعملوا فيه) .

والجاسوسية هى ذلك الجهد من مجهود المخابرات، الشامل الذى يهدف إلى التفتيش السرى على مجهودات الآخر للتحقق من قوتها وتحركاتها وهى المجهود للكشف بواسطة طرق خفية عن أسرار الآخرين. ويسبب الظروف والمصاعب التى تكتنف الجاسوسية فهى

واجب مستقل قائم بذاته على أنها فى تحليلها النهائى لا تزال تعتبر جزءًا لا يتجزأ من التخطيط الإجمالى الشامل للمخابرات.

أنواع المخابرات والجاسوسية

تقوم وظيفة جهاز المخابرات على جمع المعلومات أو الحصول عليها ثم تقدير أهميتها لتصبح بعد ذلك معلومات مخابرات توزع على أولئك الذين يحتاجون إليها.. ويختلف نوع المخابرات حسب المهمة المكلف بها وفيما يلى أهم أنواع المخابرات.

ـ المخابرات الإيجابية.. وهى الجهود التى تقوم بها إدارات المخابرات ضد الدول الأخرى.

ـ المخابرات الوقائية.. وهى الإجراءات والعمليات التى تكفل للدول الحفاظ على أسرارها وعدم تعرضها للضرر.. وقد يطلق عليها أيضا المخابرات المضادة أو المخابرات السلبية..

وتختلف مهام المخابرات بإختلاف الموضوعات التى تعالجها وهى متعددة سواء على المستوى التكتيكى أو الإستراتيجى ومنها.

ـ المخابرات العسكرية ـ والتى كانت تبدو كأنها شاملة لكافة المجالات العسكرية أصبحت الأن تنقسم إلى مخابرات خاصة بالجيش وأخرى بالقوات الجوية وثالثة للقوات البحرية وكل منها تنقسم إلى مجالات عديدة من التخصص.

ـ المخابرات الجغرافية.. والتى كانت تهتم بالمعلومات الخاصة

بطبيعة الأرض والبر والجو من أجل الخطط العسكرية قد انقسمت هى الأخرى إلى أقسام كبرى هامة فقسم خاص بـالطبوغرافيا وآخر للأرصاد الجوية والطقس وثالث للهيدروجـرافى والنقل والذى كان يدخل ضمن المخابرات الجغرافية أصبح يستأثر بقسم كبير خاص به.

ـ المخابـرات التكنولوجية . . وقد زادت أهميتها بعـد التقدم السريع الذى طرأ على الأسلحة والتسليح وأصبحت ذات أهميـة حيوية خاصة بالأمن القـومى ومنها نشأت المخابـرات العلمية التى يتفرع منهـا أقسام متخصصـة فى التفجيـر الذرى والالكتـرونيـات والصواريـخ الموجهـة والمواصلات السلكية واللاسلكية والحرب البيولوجية والكيماوية .

الحرب السياسية

هى عمليات المخابرات التى تتعامل مع الأفكار والآراء والعقائد من شخص لأخـــر وهى التـى تعمل بـــدون عنـف على نقيض الحـــرب العسكـريـة وقد اطلقـت إنجلترا مصطلح (الحـرب السيـاسيـة) ولكن ألمانيا أسمتهـا(الحرب الثقافية)وفى روسيـا يقال عنها (الدعـاية) وفى أمريكا (الحرب النفسية أو العمليات المعنوية)

الدعاية

هى فن التأثير والممـارسة والسيطرة والإنجاح والتغييـر والترغيب أو الضمان لقبول وجهات نظر أو آراء أو أعمـال أو سلوك وتنقسم الدعاية إلى . .

١ ـ **الدعاية البيضاء**: وهى النشاط العلنى الذى يحمـل إسم الدولة

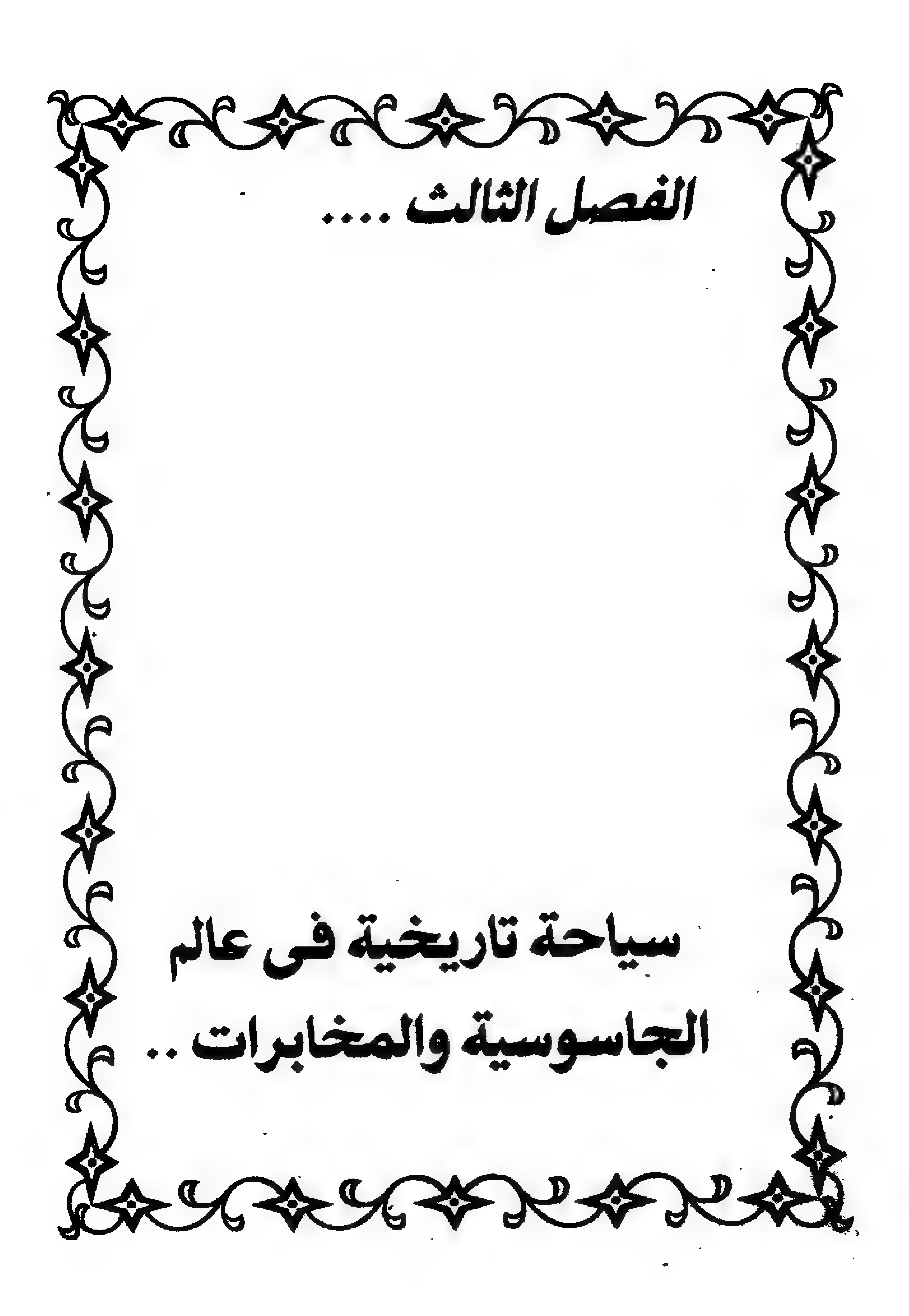
وتوجهه لكي تعضد مركزها

٢ ـ الدعاية الرمادية: وهى واضحة المصدر ولكن تخفى إتجاهاتها بقصد خدمة هدف محدد معين.

٣ ـ الدعـاية السوداء : وهى عملية مخـابرات جوهريـة أساسية ولا تكشف مطلقا عن مصدرها الحقيقى.

وتعتمد الدعاية على وسائل الإتصال التقليدية مثل الراديو أو الكتب أو المنشورات والسينما والشائعات وقد وضع كل من البورت وبوشمان قانونا فى شكل معادلة جبرية عن الشائعة وهو شدة الشائعة =الأهمية × الغموض.

●*●*●*●



الفصل الثالث ....

سياحة تاريخية فى عالم الجاسوسية والمخابرات ..

سياحة تاريخية فى عالم الجاسوسية والمخابرات

أعتقـد أن الإنسان منـذ وطئت قـدماه سطح الأرض أصبح مضطـرا لتعلم (فن المخابرات)بحثا عن (الأمن) والحياة المستقرة . . ويؤكد دير موند موريس فى كتابه (بيولوجيا الفن) والذى نشر فى عام ١٩٦٢ . أن الإنســان قـد تعلم من الحيـوان فنون البـص والترقب والتـرصـد وأيضـا التجسس وذلك بـدافع الإحتفـاظ بمكـاسبه التى حققهـا وأرضـه التى يسكن فوقها ومن أجل حمـاية نفسه من مجهول يتتظـره قد يأتى بخطر يتمثل فى أعدائه المحيطين به سواء من الحيـوانات أو البشر أو الطبيعة نفسها . ويـرى موريس أن هذا السلوك قـد ساعد الإنسـان على التقدم فى كافة شؤن الحياة .

وفى حديث اجرتـه مجلة (لير) الفرنسيـة مع جون لوكاريبيه فى مايو ١٩٨٦ اشار إلى أن الجاسوسية تقليـد أزلى منذ زمن إسبرطه حيث كون العملاء السريون ما يسمى (القـوة السرية كردتيا Kredtia) وها نحن بعد قرابة عشـرين قرنا من إنشاء أول قوة سرية فإن الكردتيـا لا تزال قوية وتتمتع بنفس درجة السرية وتمارس بنفس الشعائر.

ويقول آلان دالاس رئيـس المخابرات الأمـريكية الأسبق : إن تـاريخ المخابـرات قديم قدم المنافسـة بين المجتمعات والأمم وعند تصـورنا لأسلوب حياة الإنسان منذ العهود المغرقـة فى القدم منذ بداية الحضارة

الإنسانية فى مجتمع الصيدو القنص حيث كان على الإنسان أن يقتنص الحيوان ومن أجل صيد حيوان معين كان على الإنسان البدائى أن يعرف الكثير عن هذا الحيوان يعرف المكان الذى يحتمل تواجد الحيوان فيه ثم أنسب الأوقات للإنقضاض عليه والطريقة التى يبدأ بها الهجوم عليه وأى الأسلحة يستخدمها (الحجارة أم الهراوة) ضده ثم إختيار أضعف أعضاء الحيوان التى يوجه لها ضربته. وليأمن الإنسان على نفسه من الحيوان كان عليه إختيار الكهف الذى يتمكن من إحكام غلقه بواسطة قطعة مناسبة من الحجارة وأن يختار الأماكن التى يتواجد فيها أثناء ممارسته لحياته اليومية تحت هذه الظروف ويعتمد أساسا على فطنته وذكائه مستخدما ما يتيسر له من وسائل مدفوعا إلى ذلك بالغرائز البشرية التى لازمته منذ ولادته. . ومن وجهة نظر المخابرات نجد أن الإنسان البدائى كان يمارس نشاط المخابرات فى صورة بسيطة جدًا إلا إنها فى الحقيقة تمثل جوهر المخابرات بأبعاده المختلفة الإيجابية والدفاعية. وهكذا كانت أعمال المخابرات سلوكا بشريا تواجد مع الإنسان منذ بدء الخليقة مارسها فى سبيل تحقيقه إحتياجاته وفى سبيل تحقيق حماية نفسه ومع تطور الإنسان حضاريا وإجتماعيا تطورت حاجته إلى المخابرات وتقدمت وسائله فى إستخدامها فمنذ أن صارت القبيلة وحدة إجتماعية وقاتلت ضد القبيلة الأخرى لدوافع الغيرة أو بسبب الخيلاء وتعظيم النفس والذات أو لصيانة النفس والذات كان للمخابرات دورها الحاسم فى تحقيق النصر أو الهزيمة وسواء كان القتال للدفاع أو للهجوم فلقد كان على

قادة أى تكتل إجتماعى أن يعرفوا كل ما يمكن عن قوة وضعف التكتل الآخر.

ويضيف دالاس ؛ ما دامت قد تواجدت حاجة ملحة لحماية المصالح الحاسمة لحاكم أو لدولة أو لحكومة فإن هناك حاجة ملحة للمخابرات وهكذا كان من الممكن أن نجد فى أقدم التسجيلات لحوادث التاريخ أقدم صور الإستخدام للمخابرات.

المخابرات الفرعونية

يؤكد علماء التاريخ على أن المخابرات فن فرعونى قديم حيث كان للمصريين القدماء نظام تجسس منذ خمسة آلاف عام وكانوا يعتبرون التجسس على أعدائهم فنًا رفيعا ولونا من ألوان العلم الحربى وفى كتابه عن وكالات الإستخبارات أكد الباحث الأمريكى آلن دولز على أن الفراعنة قد عرفوا أشد النظم حداثة فى التجسس من أجل الحفاظ على أسرار الكهنوت والعلوم المتقدمة آنذاك.

ويقول ممدوح عيسى فى مجلة (المهندسون العسكريون) يناير ١٩٥٦ إن النقوش قد دلت على أن الفراعنة كانوا يبثون العيون فى داخل البلاد وخارجها فكان حاجب الفرعون المقرب إليه يلقب (عينا ملك الوجه القبلى) و(أذنا ملك الوجه البحرى) مما يدل على أن هذا الحاجب كان فى عاصمة الملك يتفقد للفرعون كل شىء بنفسه كما كان له متسمعون يأتون إليه بالأخبار عما يدور فى الوجه البحرى من أشياء خفية.

وقد دلت ألواح تل العمارنة على أن فرعون كان يستخدم الجواسيس في كل بقاع المستعمرات المصرية وفلسطين وسوريا وكذلك في الممالك المتحالفة معه كما ـ كان يستخدم أمراء المستعمرات أنفسهم جواسيس على بعضهم البعض ويقول لاديسلاس فاراجو (المصريون القدماء كانت لهم إدارات مخابرات منظمة قبل عصر السيد المسيح بعدة قرون وذلك بالرغم من أن تقصيراً في مخابراتهم المضادة جعل السير بازيل طومسون (رئيس مكافحة الجاسوسية في بريطانيا أثناء العشرينات) يلاحظ أنه لو كان لفرعون موسى إدارة مخابرات قديرة لم حدث (خروج اليهود)من مصر.

ويضيف رونالد سميث أن سجلات قدماء المصريين قد احتوت كل ما يفيد قيامهم بأعمال عظيمة في المخابرات قبل حادث طروادة بعدة قرون خلال حكم الأسرة الثانية عشر (٣٦٠٠ـ٣٤٠٠ق.م).

جواسيس الأجولة...!

عندما هم تحوتمس الثالث أثناء حكم الأسرة الثانية عشر (٣٦٠٠ـ ٣٤٠٠ ق.م) أن يفتح مدينة (يافا) إستعصى عليه الأمر فلجأ إلى الخديعة والمفاجأة والحيلة وذلك عندما مكر بحاكم المدينة فأدخل في روعه أنه ساخط على أعمال فرعون عازم على الغدر به والإنضمام إلى عدوه وظل تحوتمس يراسل حاكم المدينة من خارج الأسوار محتالاً حتى جازت عليه الحيلة وخرج الحاكم لمقابلة القائد ولما أطمأن كل منهما إلى صاحبه أخذ القائد المصري يقص على حاكم

يافـا من أخبار قوة فرعـون مما أثار دهشته وأرهب قلبـه ولكن القائد فى آخر الأمر ذكر لحاكم يافا أنه على علم بسر قوة فرعون بل إنه يملك هذا السر وهو عصا سحرية يمتلكها فـرعون يضرب بها الأرض فيعطيه الله ما يشاء وطلب حاكم يافا من القائد أن يـريه هذه العصا فأشترط تحوتمس أن يكونا على إنفراد فلما اختلى بالحاكم عاجله بضربة قوية فصرعه ثم عهد إلى مـائتين من الجيش المصرى فأخفاهم داخل (غـرائر الدقيق) ووضعهم على ظهر سفينـة كانت متجهة إلى يافا وجعل قيـادتهم لرجل إسمـه (توت) وأمـر تحوتمس طـائفـة من الجنود المصـريين بحراسـة الغرائر وأوصاهـم بإطـلاق من فيها من الجنود إذا دخلوا المـدينة وتقدم الجميع سائس خيل الحـاكم وهو يحمل رسالة وهميـة من الحاكم إلى زوجته ولم تكد أبواب المدينـة تفتح فى وجوههم حتى نفذوا أمر القائد وأنطلق الجنـود يثيرون الفـوضى والهرج الـذى أضعف حاميـة المدينـة فأحتل المصريون مـرافق يافا بينما هـاجمها الجيش من الخارج وبتلك الحيلة البارعة تمكن تحوتمس من إقتحـام يافا والإستيلاء عليها وسوف يشهـد التـاريخ بعد ذلك تكـرارا لهـذه الطـريقـة التى ابتكرهـا القـائد الفـرعونى تحـوتمس ولعل ذلك كان واضحًـا تمامًـا فى قصة (حصـان طروادة) وقصة (على بابا والأربعين حرامى).

رمسيس قاهر الجواسيس

فى عصر رمسيس الثانى وفى معركة قـادش كان الحيثيون قد تزعموا الحلف المعـادى لمصـر وأخـذوا يثيـرون الفتن فى سـوريـا وفلسطين

فاضطر رمسيس الثانى فى سنة ١٨٩٤ق.م إلى الخروج على رأس جيش كبير قسمه إلى أربعة فيالق يعتمد كل منها على نفسه . تحركت هذه الفيالق حتى دخل إثنان منها إلى مشارف مدينة قادش التى إتخذها العدو مركزًا للفتن والمؤامرات . وهنا لجأ العدو إلى تدبير حيلة بارعة فقد ظهر فجأة فى أحد المعسكرات المصرية بدويان من أهل المنطقة ادعيا أنهما فرا من جيش العدو وأن ملك الجيش الحيثي قد تقهقر بجيشه شمالاً إلى مدينة حلب خوفا من الجيش المصرى وظل المصريون فى شك من هذه العملية حتى أنهم قاموا بضرب البدويين ضربا مبرحًا ليعترفا بالحقيقة ولكنهما أصرا على أقوالهما وهنا تقدم الفيلقان المصريان دون حذر لتصديقهما أخبار إنسحاب الحيثيين . وفجأة انقض عليهم جنود العدو الذين كانوا مختبئين وراء مشارف قادش وأحاطوا بهم من كل جانب وكاد المصريون أن ينهزموا لولا وصول رمسيس الثانى ومعه بعض حراسه وبعض الجنود فقام بشغل مؤخرة جيش العدو حتى وصلت باقى القوات المصرية وأمكنهم فى النهاية دخول قادش بصعوبة .

أنثى الفرس.. جاسوسة

وقد كتب القائد أمنحتب على جدران مقبرته عن حادث طريف وقع شمال سوريا فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة أرسل قائد قوات العدو فى أثناء حصار المصريين لإحدى مدنه (أنثى فرس) عمدًا إلى مواقع الجيش المصرى قاصدًا بذلك إيقاع الإضطراب بين الخيل الذكور (حيث كانت كل الخيول التى تجر العجلات الحربية من الذكور)

وبـذلك يـربك صفـوف القـوات المصـريـة ولكن أمنحتب فطن لتلك الحيلة وهجم على تلك الفرس وبقر بطنها فماتت.

الصين ونظرية التجسس الأولى

يرجع إلى الصينى (صون تسو) قبل أربعمـائة عام من الميلاد أنه أول من قـام بالتنظيـر ووضع الأسس والقواعـد لأساليب التجسس وإنشـاء مؤسسة للمعلـومات فى مملكته. وقد أكد البـاحث الأمريكى ألن دولز أن الزعيم الصينى الراحل ماوتسى تونج كان من أشد المعجبين بماكتبة صـون تسو وأنـه أوصى بأن يدرس فصلين من كتـابه (فن الحـرب) فى المدارس العسكرية الصينية وفى هذا الكتاب قام تسو بتصنيف العملاء السريين وأظهر كيفية التقاطهم وتدريبهم والتعامل معهم وإختيارهم فى الظروف الحربية الصعبة وكيفية غش العدو (المخبر المدسوس) وكيفية التأثير سلبًـا على معنوياته وذلك بإشـاعة الأخبار الكاذبـة أى (الحرب النفسيـة) كما تسمى حـاليـا وأوصى تسو فـى القتال الليلى بإستعمـال الطبول والنيران العالية بكثرة وفى القتـال النهارى بإستعمال أعداد كبيرة من الأعلام وبذلك ترعب عيون العدو وآذانه.

وقـد ضمت الحكـايـات الصينيـة القـديمـة إسطـورة عـرفت بإسم (الممـالك الثلاثـة) والتى دونت فى القرن الرابع عشـر الميلادى وتدور الأسطورة حـول حرب المائة عـام فى الصين وكيف أن إستراتيجيـة هذه الحـرب كانت تقـوم على العملاء السـريين وعلى مهارتهم فى تـوصيل المعلـومـات من الطـرف المحـارب إلى الطـرف الآخـر وقـد إستطـاع

المنتصرون أن يحصلوا على أكبر قدر من المعلومات العسكرية حتى يتمكنوا من هزيمة خصومهم.

الساحر الصينى ..جاسوس

حاول ذات مرة الإمبراطور (المغتصب للعرش)وانج مانج أن يدمر قبائل (الهون) بجيش يشتمل على قسم من (السحرة والعرافين العسكريين) بالرغم من أن إمبراطور الهون العسكرى وجد أن الوسائل الصحيحة المستقيمة هى خير ما يمكن الإعتماد عليه ولكن وانج مانج كان تواقا إلى التجديد ولا يبرأ من هذا الشغف المزمن إلا بإستحداث الوسائل غير العادية وإستخدامها ففى سنة ٢٣ ميلادية وأثناء كبح جماح حركة ناجحة لثوار خارجين على حكمه جمع كل الحيوانات الموجو ة فى حدائق الحيوان الإمبراطورية وبعث بها بما فيها النمور والفيلة والخراتيت وحيدة القرن لإثارة الرعب فى صفوف العدو ولكن الثوار كانوا سباقين بالمبادأة فى الهجوم فقتلوا القائد الإمبراطورى وانج صن وفى خضم الإضطربات انطلقت الحيوانات الضارية من عقالها داخل جيش الإمبراطور نفسه وأفزعت الجنود وحدثت بالصدفة فى نفس الوقت عاصفة عاتية زادت الموقف المضطرب من سىء إلى أسوأ وكانت النتيجة هزيمة جنود الإمبراطور الذى فقد السيطرة على أعصابه فتأثرت نفسيته وإعتلت صحته وأسرف فى إحتساء الخمر وترك كل شىء للظروف وفقد القدرة على النوم فى الفراش فأصبح يرقد جالسًا على أريكة . .وقتل وانج مانج فى نفس العام وبقيت الصين بلامنهج

سياسى حتى عصر (وانج آن شيه) (١٠٢١ ـ ١٠٨٦) ميلادية أى بعد قرابة ألف عام من مقتل وانج مانج.

التشهير السياسى

برز دور التشهير السياسى من خلال الرواية الصينية الشهيرة (سان كيو) فى إطار النص المزعوم بالإعلام عن وجود جماعةموالية تناصر الثوار من (الهون) عند إبتداء العمليات العسكرية قرابة سنة (٢٠٠ ق. م) وللنص طرافته وذلك لأنه يجمع من مختلف الأعمال والمهارات الفنية المنطقية والمعقولة وهى (تسمية العدو المعين ـ التوسل إلى الناس ذوى الفضل ـ العطف على عامة الناس ـ تعضيد الحكومة الشرعية ـ تأكيد قوة وروحه المعنوية العالية ـ التضرع للعمل على قيام هذه الجماعة بإحتفال رسمى كبير. ويقول الأعلان (يواجه بيت هان أياما مليئة بالشرور لقد انحلت روابط السلطة الإمبراطورية وانتفع الوزير الثائر (تونج شاو) من الخلاف والنزاع ليرتكب الشرور وقد حلت النكبات على الأسر الشريفة وعمت القسوة وشملت كل الجماعات العادية الفقيرة. وقال (شاو) وزملاؤه: فى غمرة خوفنا على سلامة الإمتيازات الأمبراطورية قد جمعنا القوات العسكرية لإنقاذ الدولة وتعهدنا معًا على أن نبذل غاية ما فى قوتنا. ومن الضرورى ألا يكون هناك محل لأى بلبلة ولا لأى عمل يقوم على الأثرة وحب النفس ومن يولى ظهره لهذا الرجاء سيفقد حياته ولن يخلف وراءه نسلا له. ويشهد الله فى السماء ولتشهد أمنا الأرض ولتشهد الأرواح الواعية لأسلافنا

القدامى على كل ما قلناه ... اللهم قد بلغنا ...)

الهند . . .فن الحكمة والجواسيس!

فى الكتاب الهندى الكلاسيكى عن (فن الحكمة) والمسمى (أرثاًزا إستر لكوثيليا) نجده يقول (إن المتجمين وغيرهم من أتباع الملك يجب أن ينفخوا فى الجيش عن طريق تأكيد الصبغة القومية لتنظيمات جيشه . كما يجب أن يقوم العملاء السريون بالإختلاط بقوات العدو لنشر الإشاعات عن هزيمته الأكيدة .

وفى الهند عرف أيضا كتاب شفوى توارثته الأجيال منذ أمد بعيد يتضمن العديد من التقاليد المتبعة فى إحضار المعلومات ورصد حركات الخصوم والأعداء وكما جاء فى كتب التراث الهندية فإن الإله «براهم ا » قد أوصى أحد الحكماء بهذه المقولات (أرسل جواسيسك بأسرع مما تتحرك قدماك ولا تدع نفسك تهلك لا من الأقربين لك أو من الأجانب . تجسس عليهم وأعرفهم) .

اليونان ..الطابور الخامس وحصان طروادة

عرف فى اليونان القديمة ما يسمى (بالطابور الخامس الخاص)وقد سار هذا الطابور من قبل السلطات الحاكمة «اليونانية» على قواعد ظلت تتبع فى عالم الجاسوسية حتى القرن التاسع عشر ومنها : أن القيادات فى الطابور الخامس لا يعرفون بعضهم البعض ولا يسألون عن الخطط التى يكلفون بها بل عليهم فقط التنفيذ .

وقـد حفلت ملحمة الإليـاذه لشـاعـر اليونـان الكبيـر «هوميـروس» بالكثير من أعمال المخابرات والجواسيس فقد استمر القتال أمام أبواب طروداة قـرابة عشـر سنوات وكان قتـالا ضاريـاوسجالاً بين اليـونانيين والطـرواديين وسقط الآلاف من القتلى وقـد قـاوم الطْـرواديون ببسـالـة محتمين بأسوار مدينتهم العالية والتى عجز اليونانيون عن تسلقها وإزاء هذا العجـز ذهب كالخاس عراف الحملـة إلى آلهته يستوحيهـا ثم هرع إلى سادتـه قادة الجيش فذكـر لهم أنه مـادام تمثال (مينرفـا) المقدس موجـودا فى طروادة فلـن يفتحها على أهلهـا فاتح ولـو عاونتـه الأرباب جميعًا . فتنكـر (أو ليسوس)ومعه (ديوميـديس) ويذكر هـوميروس فى الكتـاب العـاشـر من الإليـاذة وصف هـذه المهمـة حين اكتشف المحاربـون اليونانيـون أسيراً فراحوا يستقـون منه المعلومـات ثم قتلوه، وكانوا بـذلك يسعون لمعرفة كل مالدى العـدو . وقد إنطلق أوليسيوس ومعه ديوميديس إلى الحصن واحتالا على حارس البوابة الكبرى ففتحها لهما وذهبا إلى الهيكل وسرقا (البالاديوم) المقدس وعادا به وكل همهما أن تبطل نبؤة كـالخاس ومع ذلك توالت الأيام ولم تفتح طـروادة وحينئذ بدا لأوليسيـوس أن يصطنع حيلة فصنع حصانـا خشبيا واسعًا وعـريضًا يتسع له ولرفيقه ولاثنى عشر من خيـرة رجاله بكامل أسلحتهم. وتظاهر بـاقى الجيش بأنهم ينسحبـون علـى ظهـر السفن وكأنهم يعـودون إلى الوطن وفـى ذلك الوقت نجح (سينـون) فى إقناع ملك طـروادة وشعبها بإدخال الحصـان إلى المدينـة وهى تحتفل بالنصـر الزائف وقـد كانت قصـة سينـون مختلقة بمهـارة ومحبـوكـة الأطراف وتـدل على الحنكـة

والدهاء ومقنعة إلى الدرجة التى دفعت أهل المدينة إلى هدم الجدران لإدخال الحصان الذى كان حجمه لا يسمح بإدخاله من الأبواب وبعد أن مضى شطر من الليل أقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارًا لهذه الحرب وفى الهذيع الأخير من الليل حين هجعت كل طروادة فتح سينون الباب الخلفى للحصان فتسلل أوليسوس ورجاله واعطوا الإشارة للأسطول لكى يهاجم فأحتل المدينة العاتية وذبحوا جنودها النائمين وأشعلوا النار فى دورها وحين طلع الصباح كانت طروادة أكواما من الأطلال كأن لم تكن بالأمس مدينة كبيرة آهلة بالحياة والسكان. وفى إلياذة هوميروس أيضًا كانت سرقة جياد روسوس عملا مشروعا فى الحرب من أجل المعرفة ثم سؤال الأسرى وإجبارهم على الإعتراف بما يعرفونه ومعرفة نوعية العلاقات التى تربط ما بين الملك (أجاممنون) والحكيم نستور ومحاربيه.

وفى الكتاب التاسع من إنياذة فرجليوس نرى بعض الجنود الذى توكل لهم مهمة التسلل إلى مواقع العدو ويذهب إلى هناك إثنان فى مهمة إنتحارية وهما ينسوس وأوريال اللذان يقبلان المهمة مهما كانت المخاطر التى يتعرضان لها وذلك بدافع الواجب والإخلاص وينجحان فى الدخول إلى اليونانيين ولكن يتم إكتشاف أمرهما فيهربان عبر الغابة ولكن يتم أصطيادهما وقتلهما.

وقد وصف الشاعر هوميروس فى عام ٨٨٠ق.م القتال الذى دار بين اليونانيين والطرواديين وفى إحدى قصائده الزاخرة بالبطولة وصف

الشاعر موقف العدو الذى اتخذ لنفسه مأوى فى مكان بعيد أمين فقال :

احتم أيها المختال المفترى بالشعر
الجميل وقوافي النساء هل تريد
أن تتسلح مرة لتجرب حظك فى القتال
إن أقواسك وجميع سهامك لن تنفعك
فانطلاق السهم بيد الرجل الجبان
العاجز لن يكون شديدا

وفى هذه القصيدة التى يقدم فيها هوميروس للطرف الأخر صورة لما كان يقوم به المحاربون الأولون حيث كانوا فى كلا الجيشين اللذين يقفان وجها لوجه يتبادلون الشتائم حتى يؤثر كل طرف فى الروح المعنوية لدى الطرف الآخر.

رسالة الحجر

حينما كان يتموستكليس الإغريقى (٢٥٧ ـ ٤٦٠ق.م) يحارب الفرس في معركة أريتمسيوم إستطاع هذا السياسى المحارب أن يضم إليه الأيونيون أهل جزر البحر الأيونى إذ قام بجمع أفضل سفن الملاحة لدى الأثينيين (أهل أثينا)وذهب إلى مكان تتوافر فيه مياه، صالحة للشرب ثم حفر فى الصخور بعض سطور موجهة إلى الأيونيين وفى اليوم التالى حينما وصل الأيونيون إلى أريتمسيوم أرض المعركة وجدوا

نقوشا محفورة فى الصخور تخاطبهم قائلة (يا رجال أيونيا إنكم تخطئون بالقتال ضد آبائكم بمعاونتكم على إستعباد اليونان ولهذا نناشدكم الإنضمام إلينا فإن لم تستطيعوا فإبعدوا قوتكم عن المعركة وحثوا أهل (كاريا) على أن يفعلوا مثلكم وإذا لم تستطيعوا لا هذا ولا ذاك وتجدون أنفسكم مرتبطين بضرورة ملحة فتماروضوا عندما نشتبك فى القتال واذكروا دائماً أنكم من نسلنا وأن العداء بيننا وبين المتوحشين إنما هو من أجلكم).

ويقول المؤرخ (توليبوس) الذى عاش بين عامى (٢٠١ - ١٢٠ ق.م) إن القائد يجب أن يواظب على دارسة ميول وإتجاهات وشخصية خصمه.

إفريقيا .. لا للتجسس خلف خطوط العدو

كان القائد الإفريقى (سيبيو) والذى عاش بين سنة ٢٣٧ - ١٨٣ ق.م وهزم هانيبال سنة ٢٠٧ ق.م كان يستعد ليقود حملته ضد (سيناكى) ملك نوميديا الغربية (مكانها الحالى شرق الجزائر) وحليف هانيبال القرطاجى فأرسل سفيرًا ليناقش أمر الهدنة بين الجيشين ولكنه فى الواقع كان يبعث بسفيره هذا ليتعرف على قدرة ملك نوميديا وقواته على القتال واختار لهذه السفارة أحد كبار قواده (لاليوس) وبعث معه بعض ضباطه متخفين فى ثياب الرقيق ورغم ما صادفه لاليوس من متاعب بسبب حرص سيناكى وما اتخذه من اجراءات لأبعاد لاليوس ومن معه عن التحصينات فقد اطلق رجال لاليوس أحد جيادهم وراحوا

يطاردونه بطريقة جعلته يسرع فى الأقتراب من معسكر سيناكى وأسرعوا خلفه يطاردونه حول المعسكر بل وفى داخله وعندما أمكن القبض على الحصان كان الرجال قد عرفوا أوضاع التحصينات ومدى قوتها وفشلت مهمة لاليوس فى الاتفاق على الهدنة كما كان مقداراً لها وبعد وقت قصير هاجم سيبيو معسكر سيناكى وأشعل النار فى التحصينات وأربك خطوط قواته حتى اضطر سيناكى إلى طلب الصلح .

وكان إعتماد (هانبيال) القائد القرطاجى الشهير ٢٤٧ ـ ١٨٣ق.م على أعمال المخابرات فى حروبه يحقق له النصر فى معظم غزواته فلما صعب عليه الإستيلاء على إحدى المدن التى حاصرها فى حملته على صقلية لعدة شهور أدرك أنه لن يتمكن من الإستيلاء على هذه المدينة إلا بعد أن يلم إلماما تاما بدفاعاتها فبعث بعميل له إدعى أنه جندى معترف من أهل صقلية ولما سمع بما تعانيه المدينة قدم إليها يعرض خدماته وإستطاع هذا العميل أن يوجد له إقامة دائمة بالمدينة وأخذ يتجول فيها ويدرس تحصينانها دون إثارة الشك فيه وكنت وسيلة الإشارة بينه وبين هانبيال هى الدخان المتصاعد من نيران يوقدها لطهو طعامه فوق تل بالمدينة ونجحت الخطة .

وفى تقدمه نحو روما كان لهانيبال جيش من العملاء يعملون فى وادى نهر (البو) وفى السهول على الألب الأسفل ويحصلون له على المعلومات عن خصب الأرض ومعنويات سكانها وعلى أساس هذه المعلومات وضع الكثير من خططه التى وصلت به إلى مقربة النصر النهائى ولما كانت الفيلة تمثل سلاح هانيبال المدرع فى هذا العهد

والتى تعينه على تحقيق النصر تلو النصر فقد جاهد أعداؤه كثيرا ليعرفوا طريقة للتغلب عليها وتمكن عملاء القائد الرومانى سيبيو الإفريقى من الإختلاط بسائسي الفيلة إلى أن علموا منهم نقطة الضعف بالنسبة للفيلة وهى أزعاجها بواسطة الأصوات المدوية وعندما تقابل جيشا سيبيو وهانيبال قام سيبيو بإحداث ضجة كبيرة من إستخدامه للطبول فى مواجهة الفيلة التى سادها الذعر والإرتباك وفقد هانيبال السيطرة عليها وتحقق لسيبيو النصر.

عرب الجاهلية..التاجر الجاسوس والنذير العريان

عرف العرب فى الجاهلية الغزو كمورد للرزق وطلبا للمراعى والماء وغالبا ما يكون الطمع دافعا للغزو فقد طمعت القبائل الرحل بأهل الحضر لما عندهم من وسائل عيش ومراع خصبة ومن هنا كانت هذه القبائل تغير على المدن. وكان لازما على أهل الحضر تعزيز أنفسهم بالحصون ومراكز المراقبة وبناء الأبراج العالية لمراقبة الغزاة، كما كان يتم توفير الأسلحة بمختلف أنواعها وتتخذ الحراسات ويستعمل الجواسيس لمساعدتهم فى الدفاع عن أنفسهم وأرزاقهم بحيث يحصلون على هذه المعلومات أولاً بأول لإتخاذ الحيطة والحذر.

كما عمد العرب فى الجاهلية إلى إستخدام العيون للتجسس على الأعداء فى صورة تجار أو مسافرين أو على هيئة سرايا صغيرة تتقص آثار العدو وتسأل من تلتقى به من الركبان عنه، وقد تقبض هذه السرايا على بعض المسافرين من القبائل وتحقق معهم وتعرف خطة الأعداء،

وعلى ضوء هـذه المعلومـات يرتب القـادة الأسلوب الـذى سيتخذ فى مباغتة العدو لإنزال الضربة القاضية به.

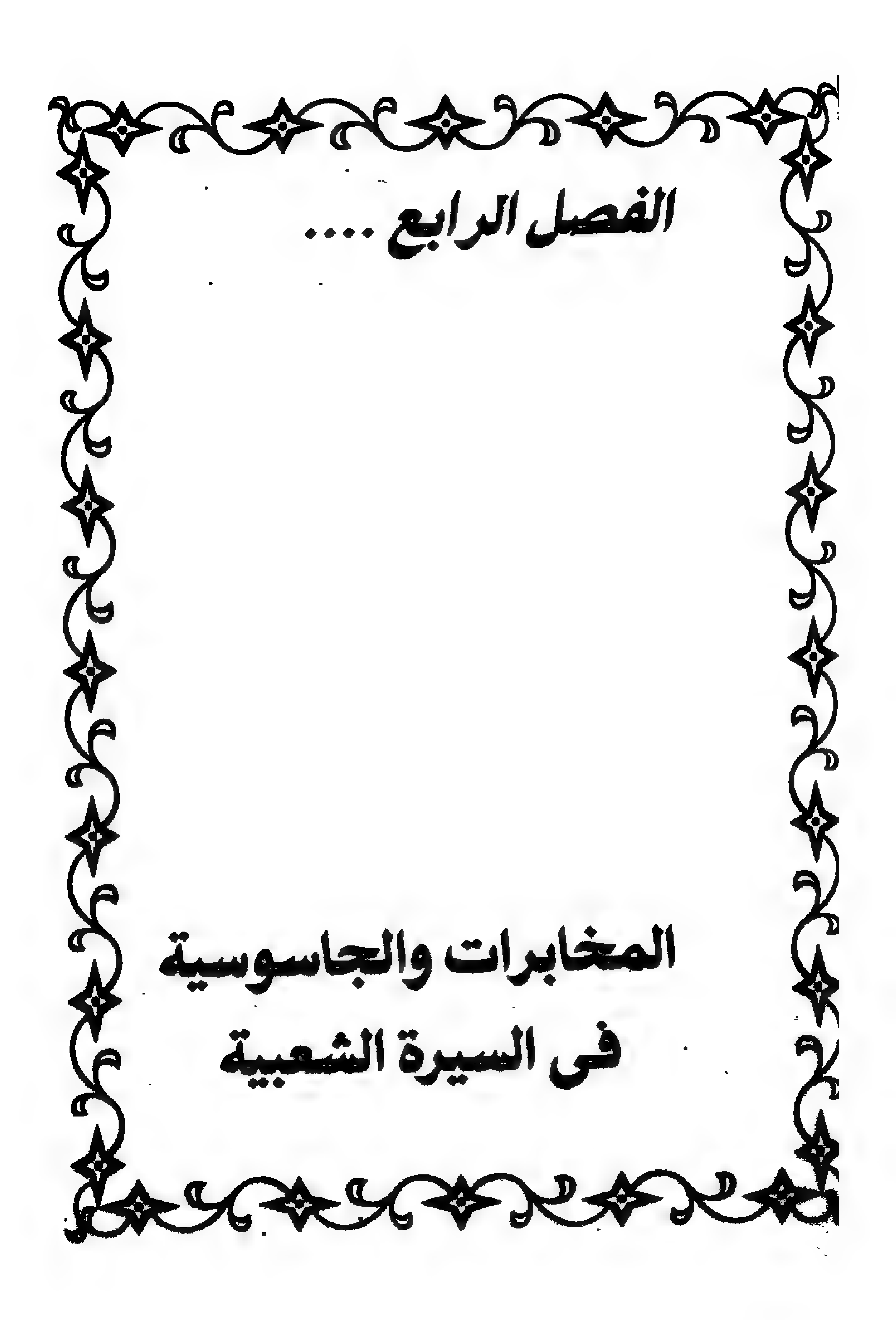
وكان العـربى إذا أحس بغارة العـدو أو رأى قومًـا يتقدمـون لمفاجأة قومه سارع إلى إنذارهم وإبلاغهم بـذلك حيث يتجرد من ثيابـه ويشير بها دلالـة على الخطـر وقرب العـدو وهو ما يعـرف عندهـم (بالنـذير العريان). كمـا عرف العرب الخدعـة فى الحرب وأداروا معاركهم على أساس أن (الحرب خـدعة) بحيث يشيعون أنهم يريـدون جهة معينة أو قبيلة بعينهـا أو أنهم سيسلكون طريقًا معينـا يرسلون قوة صغيـرة بقصد التعمية ثم تسيـر قواتهم بعـد ذلك فى الطريق المحـدد لها وذلك لكى يأخـذوا أعـدائهم على حين غـرة. ومن أجل أن يقـع العـدو فى خطأ المعلومات التى حصل عليها بواسطة جـواسيسه وغالبا ما تكون الإغارة مفـاجأة فى وقت راحة العـدو أو فى الصباح وقـد يسيرون ليـلا حتى لا يراهم أحد.

وكان العـرب يعرفـون الشعار المتفق عليـه بإعلان الحـرب وضرورة الإستعداد لهـا وذلك بإشعال النـار والتى تجمع القبائل المتنـاحرة فإذا رآها العربى عـرف أن هذه النار نار حرب ويتـولى قيادة الجيش عندهم ذو الخبرة والمراسى.

وللعرب آداب وقـواعد فى الحـرب ويطلبون من المحـاربين ضرورة التقيد بها فقد سئل أكثم بن صيفى؛ صف لنا العمل فى الحرب فقال: أقلوا الخلاف على أمرائكم فلا جمـاعة لمن إختلف عليه، وأعلموا أن

كثرة الصيـاح من الفشل فتثبتوا إن أحـزم الفريقين الـركين ، ورب عجلة تعقب ريثا ، وأدرعوا الليل فإنه أخفى للويل وتحفظوا من البيات .

●❋●❋●❋●



الفصل الرابع ....

المخابرات والجاسوسية في السيرة الشعبية

المخابرات والجاسوسية فى السيرة الشعبية..!

تمثل السير الشعبية أحد الروافد الهامة لتراث الشعوب وقد حفلت السير الشعبية فى الأدب العربى بالعديد من صور المخابرات والجاسوسية نجد ذلك فى سير (أبو زيد الهلالى - ألف ليلة وليلة - على الزيبق - ذات الهمة - عنترة بن شداد - الزير سالم).

وسوف نأخذ سيرة الزير سالم كنموذج تطبيقى لعالم الجاسوسية والمخابرات فى السير الشعبية وذلك لأن سيرة الزير سالم بشكل خاص تحوى أصداء تجارب الجاسوسية التى حدثت فى العصرين الفرعونى والإغريقى.. ولأن أحداث السيرة قد جرت قبل بداية الإسلام بسنوات قليلة.. وكما يقول علماء السير الشعبية فإن السيرة أى سيرة (خليط) من التاريخ والتأليف أى أنها ليست تاريخا خالصا وليست أدبًا خالصا بل إنها قد تخلط بعض (الأحداث التاريخية) ويظهر ذلك واضحًا فى سيرة الزير سالم فقد استدعى كاتب سيرة الزير سالم شخصية الملك حسان اليمانى من عمق التاريخ العربى ليجعله بطلا مؤثرًا وفعالاً فى سيرته التى تقع أحداثها قبل الإسلام بقليل وذلك ليعلو بالسيرة من مجرد تسجيل لمعارك قبلية ثأرية بين الأخوة وأبناء العم إلى معارك موجهة ضد ملك خارجى هو الملك حسان التبعى الحميرى.

وتبدأ أحداث سيرة الزير سالم بغزو الملك حسان اليمانى لقبيلتى

تغلب وبكر وهزيمتهما وإحتلال أرضهما ثم محاولته الزواج من (جليلة) جميلة القبيلتين بالاكراه وهى ابنة أخت ربيعة قائد القبيلتين وخطيبة كليب. ولأن المهزوم لابد وأن يخضع دومًا لكل شروط المنتصر فقد وافق كبار القبيلتين على زواج جليلة من الملك المنتصر ولكن العابد نعمان يجد لهم الحل الذى يرفع رؤسهم وينقذهم من قيد الذل وتتلخص حيلة العابد نعمان فى دخول كليب مع العروس يوم زفافها فى هيئة مهرج يلعب بسيفه الخشبى ويغنى فيما يشبه إجتفالات (دينوسيس وباخوس) وكوميديات الإغريق وإحتفالاتها الصاخبة المعروفة وإذا كان كليب قد أصبح مهرج العرس فإن جساس سوف يختبىء داخل شوار العروس (صندوق العرس) مثلما جدث فى أجولة الدقيق عند الفراعنة وحصان طروادة عند الإغريق. وبعد إنتهاء كل طقوس الزفاف وما أن يختلى الملك حسان بعروسه الجميلة جليلة حتى يخرج له جساس من شوار العروس ومعه كليب ليقتله بسيفه. وتروى السيرة أن الملك حسان كانت له أخت إسمها سعاد قد تنكرت فى زى عرافة تحمل نبؤة قتل جساس لكليب وتبلغها له بل إن سعاد هى نفسها (البسوس) التى اشتعلت نار الحرب والثأر من خلال قصة الناقة المعروفة وذلك أخذًا بثأرها من كليب الذى قتل أخاها.

ويقول الكاتب فاروق خورشيد فى مقال بمجلة المصور ١/ ٦/ ٩٠ بعنوان الزير سالم وأصداء فرعونية.

إننا لا نستطيع أن ننكر التأثير الإغريقى ولا التأثير الفرعونى أبدًا فكلاهما من ناحية الوجود الزمنى سابق وفعال ومؤثر ولا نستطيع أن

ننكره لأنـه مدون ومـوجود فى داخل العمل الـروائى الشعبى نفسه ففى الجزء الأول من السيرة وهو الخاص (بـربيعة) و(حسان التبعى اليمانى) يتمكن حسان من هزيمة ربيعـة والإستيلاء على ملكه ثم يطب الجليلة بنت مـرة بنت أخت ربيعة والتى هى خطيبـة كليب وتخضع له القبيلـة كلها فهـو الملك المنتصر قـاتل ربيعة المشنـوق وسط المدينـة والذى يطالب جـده بالثأر من قاتلـه فإذا بالجليلة بنـت مرة تلجأ مع كليب بن ربيعة خطيبها وحبيبها إلى حيلة لهزيمـة حسان التبعى والحيلة ببساطة تشـابه تمـاما حيلـة حصـان طروادة الإغـريقى القـديم؛ مجموعـة من الفـرسـان يـدخلون وسـط شـــوار العــروس (صنـدوق العـروس) فى صناديق مزدوجـة فى جزئها الأعلى الأثاث والشـوار والحلى وفى جزئها الأسفل فرسان مسلحـون جاهزون للقفز داخل قصـر (التبع) بإشارة من كليب وهى نفس قصة حصان طروادة الإغريقى المشهورة وقبلها جاءت. فى قصة على بابا والأربعين حرامى حيث تلعب الزلع لعبة الصناديق فى الـزيـر سـالم ولعبـه الحصـان فـى حصـان طـروادة ليخـرج الفـرسـان المسلحون حين الإشـارة للإستيلاء علـى المعقل المنيع وقتل الحرس وسيادة المدينة أو القصر أو البيت فى على بابا.

الفصل الخامس ....

المخابرات والجاسوسية
فى التوراة وعند اليهود

الجاسوسية والمخابرات فى التوراة وعند اليهود...!

تحفل التوراة التى يتداولها اليهود الآن بالعديد من قصص المخابرات والجاسوسية وسوف ننتقى بعض القصص كنماذج لتلك الحكايات الكثيرة عن التخابر والتجسس.

فى معركة مدين عام ١٢٤٥ ق. م يروى الإصحاح السابع من سفر (القضاء) أن جدعون كان فى موقف تكتيكى سيء إذا كان أهل مدين أكثر عددا منه وكانوا على وشك القضاء على قواته ولم تكن أساليب القتال العادية بقادرة على أن تحل المشكلة ومن ثم فإن جدعون مستندا إلى إلهام أعظم من أن يكون لدى قادة عصره تخير ثلاثمائة رجل لتنفيذ عملية خداع يمكن أن تثير الإضطراب فى صفوف العدو حيث كان جدعون يعلم جيداً من تكتيكات عصره ان لكل مائة جندى حامل مشعل يضيء لهم الطريق بمشعلـه فقام بتزويد الثلاثمائة رجل بالمشاعل والابواق ليوهم العدو بوجود ثلاثين الف رجل ولما كانت هذه المشاعل لا يمكن أن تضاء آليا مثل المصابيح الكهربية الحديثة فقد أخفى هؤلاء الجنود أنفسهم لكى يحققوا تأثير المفأجاة ووضعوا المصابيح مختفية داخل حواملها . وصف جدعون جنوده خفية حول معسكر العدو ليلاً ثم اطلق اشارة واحدة فأخرج الرجال كلهم المصابيح فى وقت واحد وبرزت الأنوار مبعثرة حول المعسكر وراح

الجنود ينفخون فى الأبواق بقوة كمن فقدوا عقولهم وهب أهل مدين من نومهم مفزوعين وعم الإضطراب صفوفهم وقاتلوا بعضهم بعضا داخل معسكرهم وأسرعوا بالفرار وفى أعقابهم الإسرائيليون يطاردونهم .

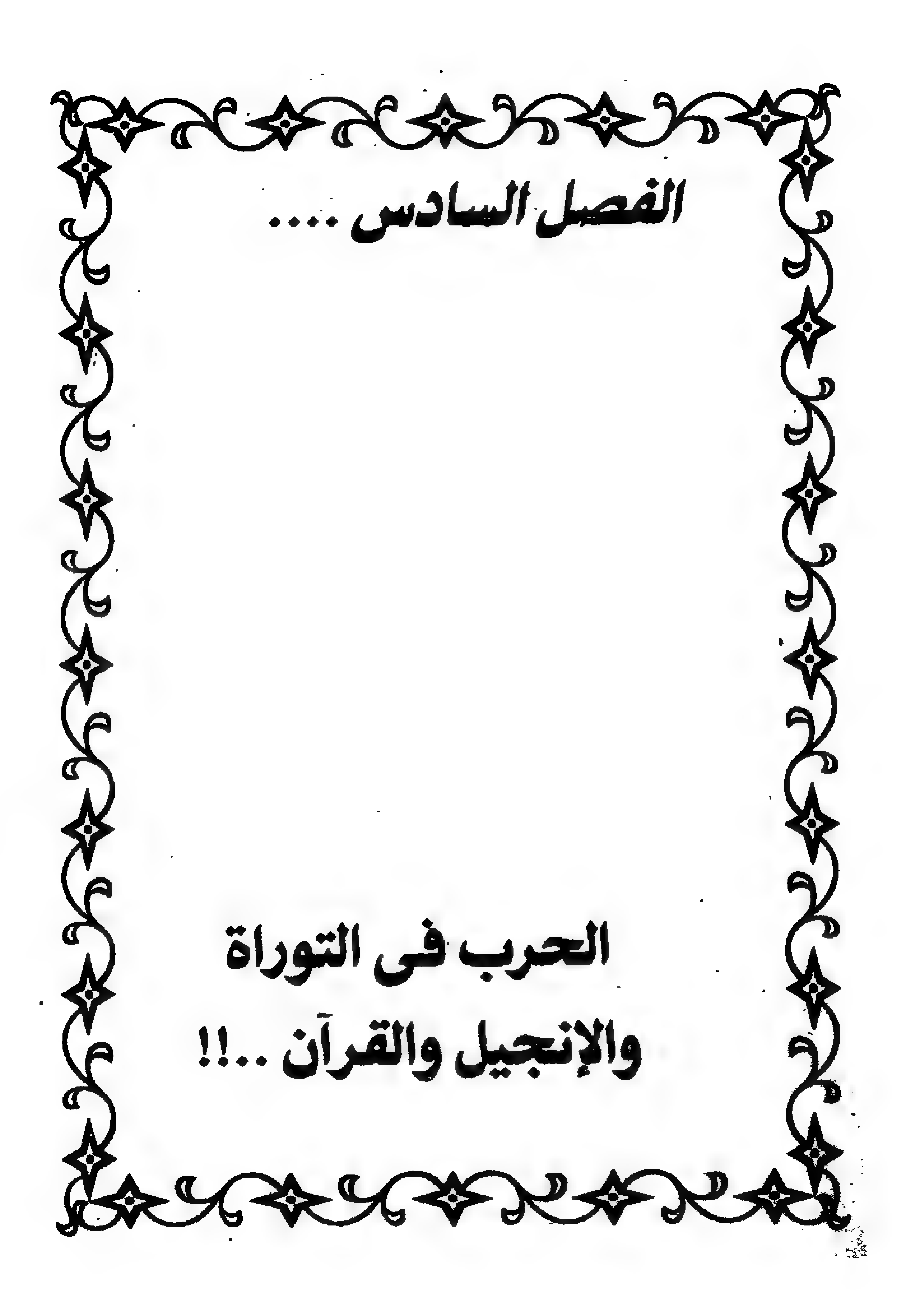
جاء فى الاصحاح الثالث من سفر (العدد) فى التوراة (ثم كلم الرب موسى قائلا ارسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل وابعث من كل قبيلة رجلا يكون حاكما فى موقعه . فبعث موسى إثنى عشر رجلاً يتجسسون أرض كنعان ورسم لهم الخطة وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هى؟ والشعب الساكن فيها أجيدة أم ردئية؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها؟ أمخيمات أم حصون؟ وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة أفيها شجر أم لا ؟ فصعدوا وتجسسوا وقد قضت طليعة هؤلاء الجواسيس أربعين يوما ثم اتوا موسى وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التى ارسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها غير ان الشعب الساكن فيها معتز بنفسه والمدن حصينة وعظيمة جدا ...

أول امرأة جاسوسة...

جاء فى الاصحاح الثانى من سفر (يشوع) من التوراه قصة أول امرأة جاسوسة وهى امرأة ساقطة عاونت جاسوسين إسرائيليين فى مهمتهما وتروى التوراة القصة فتقول (فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا إنظرا الأرض وأريحا فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية

اسمها (راحـاب) واضطجعا هنـاك فقيل لملك اريحا هـو ذا قد دخل إلى هنـا الليلـة رجلان من بنـى إسرائيل لكى يتجسسـا الأرض كلهـا : فأخذت المرأة الـرجلين وخبأتهما وقالت نعم جاء إلـى الرجلان ولست أعلم أين ذهب الرجـلان اسعوا سريعـا وراءهما حتى تدركوهمـا . . أما هى فأطلقتهما على السطح ووارتهما بين عيـدان كتان لها منضدة على السطح فسعى القوم وراءهما فى طريق الأردن وحالما خرج الذين سعوا وراءهمـا اغلقـوا البـاب ثم صعـدت إليهمـا المـرأة على السطح واستحلفتهما أن يعمـلا معها معروفـا كما صنعت فيهمـا أن يبقوا على أبيها وأمهـا وأخوتها حين يفتحـون البلاد ويستـولون عليها ثم انـزلتهما بحبل من على السطح . ومـا أن استقـرا على الأرض حتى تحلـلا من اليمين التى حلفـاهـا وقـالا لهـا اجمعى اهلك كلهم فى بيتك وعلميـه الحبل الذى انزلنا بـه فمن بقى منهم داخله فهو فى حمايتنا ومن يبقى خارجه يظل دمه هدراً على ألا تفشى سـرنا وعادا إلى يشوع بما يحملان ن معلومات .

●٭●٭●٭●



الفصل السادس ....

الحرب فى التوراة والإنجيل والقرآن ..!!

الحرب فى التوراة والإنجيل والقرآن...

الحرب كلمة صغيرة من خمسة حروف فقط لكنها كلمة كريهة بغيضة عند كل إنسان صاحب فطرة سليمة وذلك لأن الحرب تعنى القتل والتشويه والفراق والبغضاء... ورغم كل هذا فقد تصبح الحرب عنوانا للعزة والكرامة عندما تكون دفاعاً عن الحق والكرامة ودفاعاً عن كلمة الله لتصبح هى العليا.

ومن هنا فقد أباحت كل الشرائع السماوية (الحرب) فى حدود الإضطرار إليها كحل أخير وفى نفس الوقت فقد نهت كل الشرائع عن (العدوان) بكل صوره وأشكاله... ولعل أمير الشعراء أحمد شوقى قد لخص كل ذلك فى شطر بيت من قصيدته الجميلة (ولد الهدى) حيث يخاطب رسول الله ﷺ قائلا (الحرب فى حق لديك شريعة).

ولاشك فى أن الحروب هى أصلح البيئات لازدهار عمليات الجاسوسية والمخابرات. فكل طرف من المتحاربين يسعى لكشف خطط الخصم ولإخفاء خططه الخاصة حتى يحسم المعركة لصالحه وكل ذلك لا يتم إلا من خلال أعمال المخابرات والجاسوسية. ولأن الحرب شىء بغيض إلا إذا اكرهنا عليه فقد كان لزاماً علينا أن نتعرف على (نظرة) الكتب السماوية (التوراة - الإنجيل - القرآن) للحرب وسوف نأخذ فيما يلى بعض النصوص كنماذج تطبيقية لنظرة كل من اليهودية والمسحية والإسلام إلى الحرب... ولكن يجب أن نلفت

الانظار إلى أن التوارة والأناجيل التى يتم تداولها الآن قد تعرضت لعمليات (تحريف وتشويه) كبيرة وخاصة التوراة ... فإذا قرأنا هذه (النصوص) فيجب أن نتعامل معها من خلال هذا (التحفظ) .

اليهودية .. وقتل الأسرى الأبرياء ..!!

قبل أن نعرض لأحد نصوص التوارة عن نظرتها للحرب نذكر أن اليهود قد تركوا مدينتهم (أورشليم) تسقط فى ايدى الغزاه السلوقيين لأن الغزاة قد إختاروا (يوم السبت) لمهاجمتها فقد آثر اليهود سقوطها على أن يقاتلوا يوم السبت حيث تُمَجَّد البطالة وتُقدس الراحة وهذا يشير إلى مدى ما كان للخرافة فى أفئدتهم وفى عقولهم من رسوخ وولاء إنهم يوم السبت لا يكرزون ولا يعالجون ولا يعملون عملاً . . حتى جاء السيد المسيح عليه السلام ليهدم هذه الخرافات على رؤسهم فقال (إنما خلق السبت من أجل الإنسان . . ولم يجعل الإنسان من أجل السبت) .

إله اليهود.. وسفك الدماء

فى الإصحاح العشرين من سفر التثنية من التوراة جاء ما نصه (حين تقترب من مدينة كى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ويستعبد، وان لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد

السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فتمنحها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبًا فلا تبقى منها نسمة بل تحرمها تحريما ، الحيثيين والآراميين والكنعانيين والفيرزيين والحواريين واليوسيين كما أمرك الرب إلهك.

وهكذا وبنص التوارة المحرفة والمشوهة نجد السر وراء تلك العملية القذرة التى ارتكبها اليهود ضد الأسرى العرب العزل فى حربى ٥٦ ـ ١٩٦٧ حيث قتلوا هؤلاء الأسرى العزل رغم تحريم كل الشرائع السماوية وكل القوانين العالمية لهذه الفعلة القذرة إلا أن اليهود بعد أن شوهوا وحرفوا التوراة . يجدون فيها ما يبرر موقفهم ويجعل مافعلوه ـ من باب التدين والإلتزام بالشريعة اليهودية . فهم ينفذون أمر (إله اليهود) الذى أمرهم بضرب جميع الذكور بحد السيف فى أى مدينة تستسلم لهم فهنيئا لليهود بإلههم الذى يهوى سفك الدماء وعار علينا إن لم نأخذ ثأرنا بأيدينا فقد أمرنا ربنا العادل بقوله ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾ .

المسيحية.. شريعة الحب والخلاص

جاء السيد المسيح إلى الدنيا وفلسطين إحدى مستعمرات الإمبراطورية الرومانية ويسكنها مليونان ونصف المليون من الناس ، يعيش الوثنيون منهم فى مدنها الساحلية . ويتركز اليهود فى المدن

الداخلية. ويعانى شعبها سيما اليهود نزاعا عنصرياً واضطرابا سياسيا. وقد شهد السيد المسيح إبان شبابه أى قبل جهره بدعوته حملة (قارس) حاكم سوريا الرومانى التأديبية على بعض مدن فلسطين فهدم مئات البلدان وصلب ألفين من سكانها وباع ثلاثين ألفا فى أسواق الرقيق. ومن هنا توهجت آمال كثيرين فى مجىء (مسيح) مخلص ملك يؤسس مملكة مستقلة، تدفع ضغط روما وتسلطها.

ولكن المسيح جاء بشريعة عمادها الحب والخلاص فرغم أن دعوته لم تستمر إلا ثلاث سنوات فقط إلا أنه قاد (ثورة) عظيمة لهدم كل الخرافات اليهودية أى انه جاء ليغير (سلوكيات) الناس ولم يأت ليخوض حروبا بالسيف أو ليصنع ملكا من خلال الحروب لذلك نجده يقول فى بداية دعوته (إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص) ثم يقول (روح الرب مسحنى لأبشر المساكين لأنادى للمأسورين بالانطلاق).

وتتضح دعوة المسيح عندما يصرخ فى وجوه كهنة اليهود قائلا. . (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون) (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم).

وينادى المسيح فى اتباعه بتماسك الأمة وعدم إنقسامها على ذاتها فيقول (كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وبيت منقسم على

نفسه يسقط) ويضيف المسيح (ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله، وأهلك نفسه أو خسرها).

ويسأله تلميذه بطرس (كم مرة يخطىء إلى أخى وأغفر له؟ هل إلى سبع مرات).

ويجيب المسيح.

(لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة).

ويصرخ المسيح مرة أخرى فى وجه كهنة اليهود قائلا.

(يا أولاد الأفاعى.. لا تقولوا لنا إبراهيم آبانا.. لأنى أقول لكم.. إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم).

ورغم كل السماحة والحب فى دعوة المسيح سمعنا من يقول.

(لابد من الحرب، دفاعاً عن الحضارة المسيحية)..

ونعتقد أن كل مسيحى يرفع راية الحرب والعدوان لم يقرأ وصية المسيح العظيمة التى تقول (واية مدينه دخلتموها، ولم يقبلوكم فأخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه عنا).

ويقول المسيح (إذا سمعتم بحروب وقلاقل، فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولا... ولكن لا يكون المنتهى سريعا).

ويقول المسيح (أريد رحمة.. لا ذبيحة)

ويقول المسيح لمن أراد أن يدافع عنه بسيفه، حين هاجمه أعداؤه

ليلا، ليأخذوه إلى رؤساء الكهنة، كى يحاكموه:

(ردسيفك إلى مكانـه ـ أتظن انى لا استطيع الآن أن اطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من إثنى عشر جيشا من الملائكة)

الإسلام.. رد العدوان وحرية الدين

القرآن هو الـدستور الإلهى لدين الإسلام وقد تنـاول القرآن فى كثير من آياته القتال من جميع نواحيه. وعرض لما يجب على المسلمين من الإستعداد له والإحتياط ووضح قواعده وأحكـامه ففى سورة النساء يقول الله تعالى: ﴿ **فليقاتل فى سبيل الله الـذين يشرون الحياة الدنيـا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيـه أجرًا عظيما * وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقـولون ربنا أخرجنا من هـذه القرية الظالم أهلهـا واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** ﴾ [الآيتان ٧٤، ٧٥].

فالقرآن يؤيد القتال دفـاعاً عن النفس ودفاعاً عن العقيدة ولكنه مع هذا ينكر حرب الاعتداء حيث يقول الله تعالى فى سورة البقرة ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الـذين يقاتلـونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتـدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهـم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل** ﴾ [الآيتان: ١٩٠ ـ ١٩١].

لقد كانت الغـاية الأولى التى شرع القتال من أجلهـا فى الإسلام هى حماية المسلمين من أن يفتنوا عن دينهم لـدرجة أن الله قد أبـاح القتال فى الأشهـر الحرم حتى لا يفتن المسلمـون ويقول الله تعالى فـى سورة

البقرة ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ [الآية: ٢١٧].

فحق طبيعى بل واجب إلزامي لكل من يرى غيره يحاول فتنته عن دينه أو صده عن سبيل الله ان يقاتل فى سبيل الله حتى لا يفتن وحتى ينصر الله دينه.

لقد حاول خصوم الإسلام أن يثيروا بعض الإتهامات الباطلة عن الحرب فى الإسلام على إعتبار أن هذا الدين قد انتشر بالحرب والسيف رغم أن القرآن يدحض هذه التهم فى كثير من آياته حيث يقول تعالى ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنَّا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ [الكهف : ٢٩].

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾[التوبة : ٦].

وتقرر هذه الآيات مدى بطلان هذه الإتهامات بل وتؤكد حرية العقيدة فى الإسلام وتلزم المؤمنين إن استجار بهم أحد المشركين أن يبلغوه الدعوة وأن يوضحوا له مقاصد الإسلام ثم يحرسوه حتى يصل

إلى مأمنه ويتركوه ليسلم عن رغبة واقتناع لا عن خوف او رهبه أو إكراه وعلاوة على ذلك فهناك العديد من الأدلة والأسانيد التى تؤكد على أن هذا الاتهام مجرد بهتان وزور وفيما يلى بعض هذه الأدلة.

١ ـ شهادة التاريخ: التى تؤكد على أن النبى قد مكث فى مكة ثلاث عشر سنة يدعو إلى دينه وكان مضطهداً واحتمل وصبر وكان يمر على اصحابه وهم يعذبون فلا يزيد عن أن يقول لهم (اصبروا آل ياسر إن موعدكم الجنة) ومع هذا آمن بالإسلام السابقون الأولون وكذلك الأنصار من أهل المدينة حينما حدثهم الرسول بشأن دعوته خلال ترددهم على مكة فى كل عام ـ وثابت من التاريخ إن الأمر بالقتال والاذن به لم يصدرا إلا فى السنة الثانية من الهجرة.

٢ ـ شهادة الإسلام: التى تؤكد على أن أساس التصديق بالإسلام العقل والفكر والنظر والإطمئنان القلبى والحرية كما جاء فى سورة الحجرات ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾ [الآية : ١٤]. وهذه الأسس لا يمكن ان تتجاوب مع الاكراه والخوف والاستجابة لدعوة كرسها السيف وقال تعالى أيضا ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتى هى أحسن﴾ [النحل : ١٢٥].

ثم بماذا تفسر هذه الرسائل التى وجهها الرسول الكريم إلى الملوك فى عهده يطلب منهم فيها دخول الإسلام؟

فبعث الرسول فى كتاب إلى كسرى ملك الفرس (إنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . إسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس).

وكذلك كتاب الرسول إلى النجاشي ملك الحبشة (إنى ادعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله).

إذن رسالة الإسلام لا تهدف كما هو واضح من القرآن إلى الحرب من أجل نشر تعاليمه ومبادئه، كما أن الإسلام لم يكن فى حاجة إلى كسب الأنصار بالقوة والعنف، وإنما اعداؤه هم الذين أرادوا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ [البقرة : ٢١٧].

ويتضح لنا من القرآن وهو دستور الإسلام العظيم عدة نقاط هامة :

١ ـ أنه لا توجد فى القرآن آية تدل أو تشير إلى أن القتال شرع لحمل الناس على اعتناق الإسلام.

٢ ـ أن سبب القتال هو رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.

٣ ـ أنه حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع وابتغاه طريقا إلى السلم والإطمئنان.

٤ ـ أن الإسلام فرض الجزية على منْ يبغى على دينه وما الجزية أصلا إلا دليل على الخضوع وكف الأذى والمشاركة فى تحمل أعباء الدولة.

أغراض الحرب فى الإسلام

حدد الإسلام الأغراض الأساسية للحرب فى عدة نقاط هى :

١ ـ رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين فقد روى أبو داود والترمذى عن سعد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول : (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد) .

واشترط الإسلام أن يكون الدفاع ورد العدوان بمثل ما حصل من الاعتداء به ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة : ١٩٤]

٢ ـ تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة : ١٩٣]

٣ ـ حماية الدعوة حتى تبلغ الناس ويتحدد موقفهم منها فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنه قال . . قال رسول الله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) .

٤ ـ تأديب ناكثي العهد من المعاهدين ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم

لعلهم ينتهون * آلا تقاتلـون قوماً نكثوا أيمانهم وهّموا بإخـراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة﴾ [التوبة : ١٢ ـ ١٣]

٥ ـ إغـاثة المظلومين من المـؤمنين أينما كانـوا والانتصار لهم من الظالمين ﴿والذين آمنـوا ولم يهاجروا مـا لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجـروا وإن استنصروكم فى الـدين فعليكم النصر إلا على قـوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ [الأنفال : ٧٢].

٦ ـ الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكـون الدين لله فإن انتهوا فلا عـدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة : ١٩٣].

٧ ـ قصر الحرب على الجيش المحـارب فلا يجوز التعرض للنساء أو الاطفال أو الشيوخ والرهبان. . فقد روى أبو داود أن الرسول قال (لا تقتلوا شيخا فانيا ولا صغيرا ولا إمرأة).

٨ ـ تحريم التمثيل بالقتلى والإحراق بالنار. . فقد روى أبو هريرة أن النبى قال (إنى كنت امرتكم ان تحرقوا فلانا أو فلانا وان النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فأقتلوهما)

٩ ـ تحريم إتـلاف الأمـوال. . فقد روى ابـن عمر ان النبى حـرق نخيل بنى النضير اثنـاء حصاره لهم حتى يستسلموا فقالـوا له إنك تنهى عن الفساد فى الأرض فما بال قطع الاشجـار وتحريقها؟ فكف الرسول عن التخريب فى بلاد العدو.

١٠ ـ تحـريم تجويع الأعـداء بمنع المؤونـة غنهم. . فقد روى أن

ثمامة بن آثال منع الميرة عن قريش حتى أكلوا الجلود والجيف وشكا أبو سفيان إلى النبى فأمر الرسول ثمامة أن يرسل الميرة لهم.

١١ - الإحسان إلى الأسير وقد مدح الله من يطعم الأسير فى قوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) [الإنسان آية : ٨] فأين هذا من قذارات اليهود التى تبيح لهم قتل الأسرى . . !!

١٢ - تأكيد الرحمة فى الحرب ومراعاة الناحية الانسانية فيقول تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمًّا منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) [محمد : ٤].

١٣ - ضرورة إعلان الحرب من جهة المسلمين قبل البدء فى أى قتال رغبة فى ألا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة من جانب المسلمين ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ [الأنفال : ٥٨].

١٤ - الوفاء بالمعاهدات والعهود فى الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١].

عوامل القتال فى الإسلام

تناولت آيات القرآن ثلاثة عوامل هامة للقتال وهى :

١ - الروح المعنوية وتقويتها .

٢ - اعداد القوة المادية .

٣ـ التنظيم العملى للحرب.

والمقصود بالقوة المادية هو العدد والعدة، فأما العدد فقد كان يتوقف على عدد المسلمين فكل من دخل فى الإسلام أصبح جنديا من جنوده وينص القرآن على ضرورة توافر العدد الكثير والعدة الوافرة.

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال: ٦٠]

أما إعداد العدة فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [الحديد: ٢٥]

ولما كان الاعداد للحرب يتطلب مالا كثيرا فقد حثت آيات كثيرة على البذل فى سبيل الله ومن ذلك ﴿ وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [الأنفال: ٦٠]

﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة ١٩٥].

وأما من ناحية التنظيم الفعلى للحرب فقد امر الله تعالى المسلمين جميعا لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم برد العدوان إبقاء على وحدة المسلمين ولكن القرآن اعفى من القتال الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون أى أنه أعفى الضعفاء بسبب العجز أو الشيخوخة والمرض وعدم القدرة على الإنفاق وهذا ما أكده قول الله تعالى فى سورة التوبة ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من

سبيل والله غفور رحيـم * ولا على الذين إذا ما أتـوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾[التوبة: ٩١ ـ ٩٢].

الفصل السابع ....

عقوبة التجسس
فى الإســلام

عقوبة التجسس فى الإسلام

اختلف أئمة الإسلام وفقهاؤه حول (عقوبة الجاسوس) كيف تكون. . وبالطبع فإن هذا الجاسوس هو الذى يتجسس على المسلمين وليس الذى يتجسس لهم. . فقد اختلف الأئمة حول عقوبة الجاسوس المسلم وإن كانوا قد اتفقوا على عقوبة الجاسوس غير المسلم. وحتى نعرض لأهم الإجتهادات فى هذه القضية الشائكة فسوف نرجع إلى حادثة وقعت أيام الرسول ﷺ ومن تلك الحادثة نخرج كل إجتهادات وتأويلات الأئمة والفقهاء.

ففى الحديث عن على بن أبى طالب قال بعثنى رسول الله أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال عليه السلام: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة (إمرأة مسافرة) ومعها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة (المرأة المسافرة) فقلنا أخرجى الكتاب فقالت: ما معى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها (شعرها) فأتينا به وبها رسول الله فإذا فى الكتاب. . من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمور رسول الله فقال الرسول ما هذا؟

قال حاطب يارسول الله لا تعجل على إنى كنت ملصقا (تبعاً) فى قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات فى مكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفراً ولا

إرتدادا أو لأرضىٰ بالكفر بعد الإسلام . . فقال رسول الله : لقد صدقكم . وقال عمر بن الخطاب وقد كان حاضرا المجلس . . يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال الرسول إنه شهد بدرا . وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، رواه البخارى ومسلم وأحمد وقد أشار ابن القيم فى الجزء الثانى من كتابه (زاد المعاد) (ص ١٧٧) إلى هذا الحديث وقال . . وإستدل بالحديث من يرى قتل الجاسوس المسلم كالشافعى وأحمد وغيرهما وقالوا لأنه علّل بعلة مانعة من القتل وهى منتفية فى غيره ولو كان الإسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لأن الحكم إذا علل كان الأخص عديم التأثير وهذا اقوى .

* وقد نقل الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) هذا الحديث وقال ظاهر هنا أن العلة فى ترك قتله (كونه ممن شهدوا بدرا) ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ففيه متمسك لمن قال إنه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين .

وقد اتفق المفسرون على أن هذه الحادثة كانت سببا فى نزول قوله تعالى فى أول سورة الممتحنة **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)[الممتحنة : ١].**

* وقد أختلف الفقهاء فى قتل الجاسوس المسلم.

فالإمـام مالك يرى تعزيـر الجاسوس المسلم بـالقتل ووافقه بعض أصحـاب أحمد بن حنبل. وقـد ذكـر بعض أصحاب الشـافعى ذلك أيضا أما الإمام أبى حنيفة فهو أبعد الأئمة عن التعزير بالقتل ومع ذلك فيجوز التعزير للمصلحة كقتل القاتل بالمثل.

* وفى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفه (ص ٢٦٦) قـال: سألت أمير المـؤمنين عن الجـواسيس يوجـدون وهم من أهل الـذمة أو من أهل الحـرب أو من المسلمين فقـال: إن كانـوا من أهل الحرب أو من أهل الذمة ممن يـؤدون الجزية من اليهود والنصارى والمجـوس فأضـرب أعناقهـم وإن كانـوا من أهل الإسـلام المعـروفين فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتي يحدثوا توبة (أى يتوبوا).

* وينحصـر الخـلاف بين الفقهــاء حـول قتل المسلم إذا ارتكب جـريمة التجسس فـالبعض يجيز قتـل الجاسـوس المسلم منعاً لشـره وكفاًلأذاه عن المسلمين وتطهيرا للمجتمع منه ولا يجوز أن يكون محل خـلاف من أحد وقـد أجاز الحنفيـة قتل المبتدع الـذى يتوهم إنتشـار بدعته وإن لم يحكم بكفره بناء على أن المصلحة تقتضى هذا القتل.

وأجـاز بعض أصحاب الشـافعى وأحمـد قتل الـداعى إلى البدعـة والتهجم والحجة فى ذلك كله منع الشـر والفساد وتطهير المجتمع من عناصـر الهدم والتخريب وذلك إنطـلاقا من قولـه تعالى: (إنما جزاء الـذين يحاربـون الله ورسـوله ويسعـون فى الأرض فسادا أن يقتلـوا أو

يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) [المائدة : ٣٣] .

* وقد اختلف الفقهاء والمفسرون حول هذه الآية في موضوعين :

الأول : فى معنى المحاربة لله ورسوله وهل هى المجاهرة بقطع الطريق أم المكابره باللصوصية وغيرها أم هى المجاهرة بما ذكره أو هى قطع الطريق وإخافة الناس وإظهار الفساد فى الأرض وإن لم يحدث قتل أو سلب .

الثانى : فى العقوبات الواردة فى هذه الآية وهى القتل والصلب والقطع والنفى وهل هى على سبيل التخيير يفوض الأمر فى إيقاعها إلى رأى الإمام وإجتهاده يوقع فى كل حالة ما يناسبها أم هى على سبيل الترتيب والتوزيع . القتل جزاء القتل والقطع جزاء أخذ المال والقتل والصلب جزاء الجريمتين معاً وهكذا .

ـ ونعود إلى جريمة التجسس فقد سئل عدد من العلماء المحدثين عن عقوبة المسلم الذى يرتكب جريمة التجسس فقال شيخ الجامع الأزهر د. سيد طنطاوى إن الجاسوس الذى تثبت ضده تهمة التجسس والتخابر يستحق القتل شرعا .

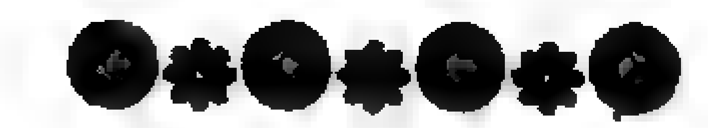
ـ أما مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد فقد قال التجسس هو الإطلاع على عورات المسلمين وإيصال أخبارهم للعدو. ويرى الإمام مالك وابن عقيل من أصحاب الإمام أحمد ابن حنبل أن الجاسوس المسلم يقتل إجتهادا إذا عظم ضرره ويحتجون بأن رسول الله قد أقر عمر على إرادة قتل حاطب بن أبي بلتعه لإيصاله

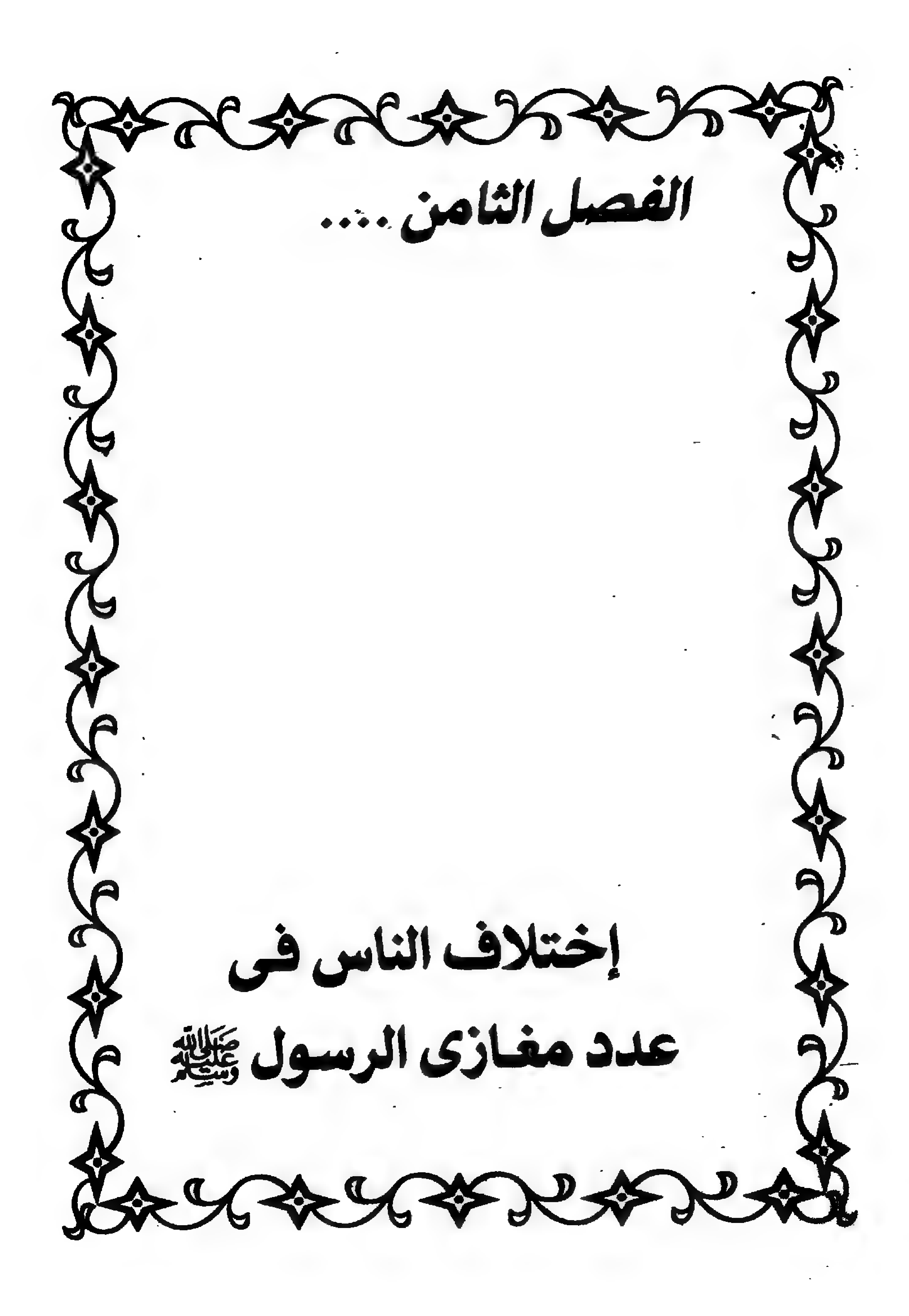
أخبار المسلمين إلى العدو ولولا المانع الذى بينه الرسول وهو كون حاطب قد شهد بدرا ، وهذا متعذر فى غيره فلو كان الإسلام مانعا من القتل لما علل بأخص منه . وأنفرد من المالكية ابن القاسم بالقول أن الجاسوس المسلم يقتل حدا لان التجسس رده والجاسوس مرتد لقوله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) [المائدة : ٥١] .

* وإلى قتل الجاسوس «ذهب ابن القيم من متأخرى الحنابله دون التعرض لإيمانه أو عدمه .

ـ أما الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعى وأحمد فقد ذهبوا إلى أن التجسس لا يزيل أصل الإيمان . لذا فهم يقولون بتعزير الجاسوس .

* وقد لخص ابن حجر الهيثمى آراء الفقهاء المسلمين فى التجسس فقال إن ترتب من الدلالة على عورات المسلمين ضعف للإسلام أو لأهله أو قتل أو سلب أو نهب كان ذلك من أعظم الكبائر وأقبحها لأنه سعى فى الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فمأواه جهنم وبئس المهاد مما يتعين قتل فاعل ذلك . . هذا والله أعلم وأحكم .





الفصل الثامن ....

إختلاف الناس فى عدد مغازى الرسول ﷺ

إختلاف الناس فى عدد مغازى الرسول .

روى ابن سعد عن ابن إسحاق وابن عقبه وأبى معشر وعن شيخه محمد بن عمر الأسلمى عن جماعة سماهم قالوا: كان عدد مغازى رسول الله التى غزا فيها بنفسه سبعاً وعشرين وقيل تسعاً وعشرين وقيل ستاً وعشرين ومن قال بذلك جعل غزوة خيبر ووادى القرى غزوة واحدة وقيل خمساً وعشرين وزعم الحافظ عبد الغنى المقدس أنه المشهور وعزاه لإبن إسحاق وابن عقبه وأبى معشر والذى رواه عنهم ابن سعد فيما سبق، وهو الصحيح الذى جزم به أبو الفرج فى (التلقيح) والدمياطى والعراقى وغيرهم .

وقال فى المورد وهو الذى نقله المؤلف ، أى الحافظ عبد الغنى عن هؤلاء الأئمة الثلاثة لم يقع لى من نقله عنهم غير المؤلف وسرد أسماء الغزوات وهى غزوة الأبواء ويقال لها ودان ثم غزوة بواط ثم غزوة سفوان وهى بدر الأولى لطلب كرز بن جابر ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بنى سليم بالكدر ويقال لهم قرقرة الكدر ثم غزوة السويعة ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة بدر الأخيرة وهى غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق وهى المريسع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة خيبر ثم غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة ثم

غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكـة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك .

وقال ابن عقبة لقـد قاتل الرسول فى ثمان مواطن وأهمل عـد قريظة لأنه ضمهـا إلى الخندق لكـونها كانـت فى إثرها . . وقـد أفردهـا غيره لوقوعها منفـردة بعد هزيمة الأحزاب وكذا وقع لغيـره عد الطائف وحنينا واحدة لكونها كانت فى إثرها .

ـ ومن نسخة صحيحة فى مغازى ابن عقبة قال :

غزا رسول الله إثنتى عشرة غزوة لم يكن فيها قتال .

ـ والغـزوات الكبار الأمهات سبع : بـدر ـ أحـد ـ الخندق ــ خيبر ـ الفتح ــ حنين ـ تبوك . وفـى شأن هذه الغـزوات نزلت آيات كثيـرة من القرآن ففى بدر كثير من (سورة الأنفال) وفى أحد آخر (آل عمران) وفى قصة الخنـدق وقريظـة صدر (سورة الأحـزاب) وفى بنى النضيـــــر (سورة الحشر) وفى قصة الحديبية وخيبر (سورة الفتح) وأشير فيها إلى الفتح وذكر الفتح فى (سورة النصر) وتبوك فى (سورة براءة) .

ـ وفى كتاب المغـازى للواقدى ذكر ترتيب السرايـا لحمزة ثم عبيدة ثم سعد بن أبى وقاص ثم الأبواء . بينما جاء الترتيب فى كتاب للمغازى للذهبى القردة ثم بعث حمزة ثم بعث عبيدة ثم القردة الثانية (بواط) ولم يذكر سرية أو بعث سعد بن أبى وقاص .

وقد حسم المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى والمتوفى ســـنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تاريخ الإسلام (المغازى) والذى

حققة الـدكتور عمر عبـد السلام تـدمرى . . حسم الخلاف حـول عدد مغازى الـرسول حيث قام بحصـر عدد الغـزوات التى حدثت فى كل سنة هجرية بـداية من السنة الثانية وحتى وفاة الـرسول ﷺ وجاء تقسيم الذهبى كما يلى .

ـ السنة-الثانية من الهجرة.

غزوة الأبـواء (ودان) ـ غزوة بواط ــ غزوة العشيرة ـ غـزوة بدر الأولى (سفوان) ـ سـرية سعد ابن أبى وقاص ــ غزوة بدر الكبرى ـ سـرية عمر بن عدى الخطمى ــ غزوة بنى سليم ـ سـرية سـالم بن عمير لقتل أبى عفك ـ غزوة السويق فى ذى الحجة .

ـ السنة الثالثة من الهجرة.

غزوة ذى أمر ــ غزوة بحران ـ غزوة بنى قنينقاع ــ غزوة بنى النضير ـ سرية زيـد بن حارثة إلى القـردة ـ غزوة قرقـرة الكدر ـ غزوة أحـد ـ غزوة حمراء الأسد .

ـ السنة الرابعة من الهجرة.

سرية أبى سلمـه إلى قطن ـ غزوة الزجيع ــ غزوة بئر معــونة ـ غزوة بنى لحيان ـ غزوة ذات الرقاع ـ غزوة بدر الموعد ـ غزوة الخندق .

ـ السنة الخامسة من الهجرة.

غزوة ذات الرقاع ـ غزوة دومة الجنـدل ـ غزوة المريسيع ـ غزوة بنى قريظة .

ـ السنة السادسة من الهجرة.

غزوة الغابة أو ذى قرد ـ غزوة بن المصطلق ـ سرية نجد ـ سرية عكاشة بن محصن إلى النمر ـ سرية أبى عبيدة إلى ذى القصبة ـ سرية ا بن أبى سلمة إلى ذى القصة ـ سرية زيد ابن حارثة إلى بنى سليم بالجموح ـ سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ـ سرية زيد بن حارثة إلى العيص ـ سرية زيد بن حارثة إلى حسمى ـ سرية زيد إلى وادى القرى ـ سرية على إلى بني سعد بن بكر بفدك ـ سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ـ سرية كرز بن جابر الفهرى إلى القرنين ـ سرية عبد الله بن رواحة إلى أسيربن زارم .

ـ السنة السابعة من الهجرة

غزوة خيبر ـ غزوة وادى القرى ـ سرية أبى بكر إلى نجد ـ سرية عمر إلى عجز هوازن ـ سرية بشير بن سعد ـ سرية غالب بن عبد الله الليثى ـ سرية الجناب ـ سرية أبى هدرد إلى الغابة ـ سرية محلم بن حثامه ـ سرية عبد الله بن حذافه بن قيس .

ـ السنة الثامنة من الهجرة

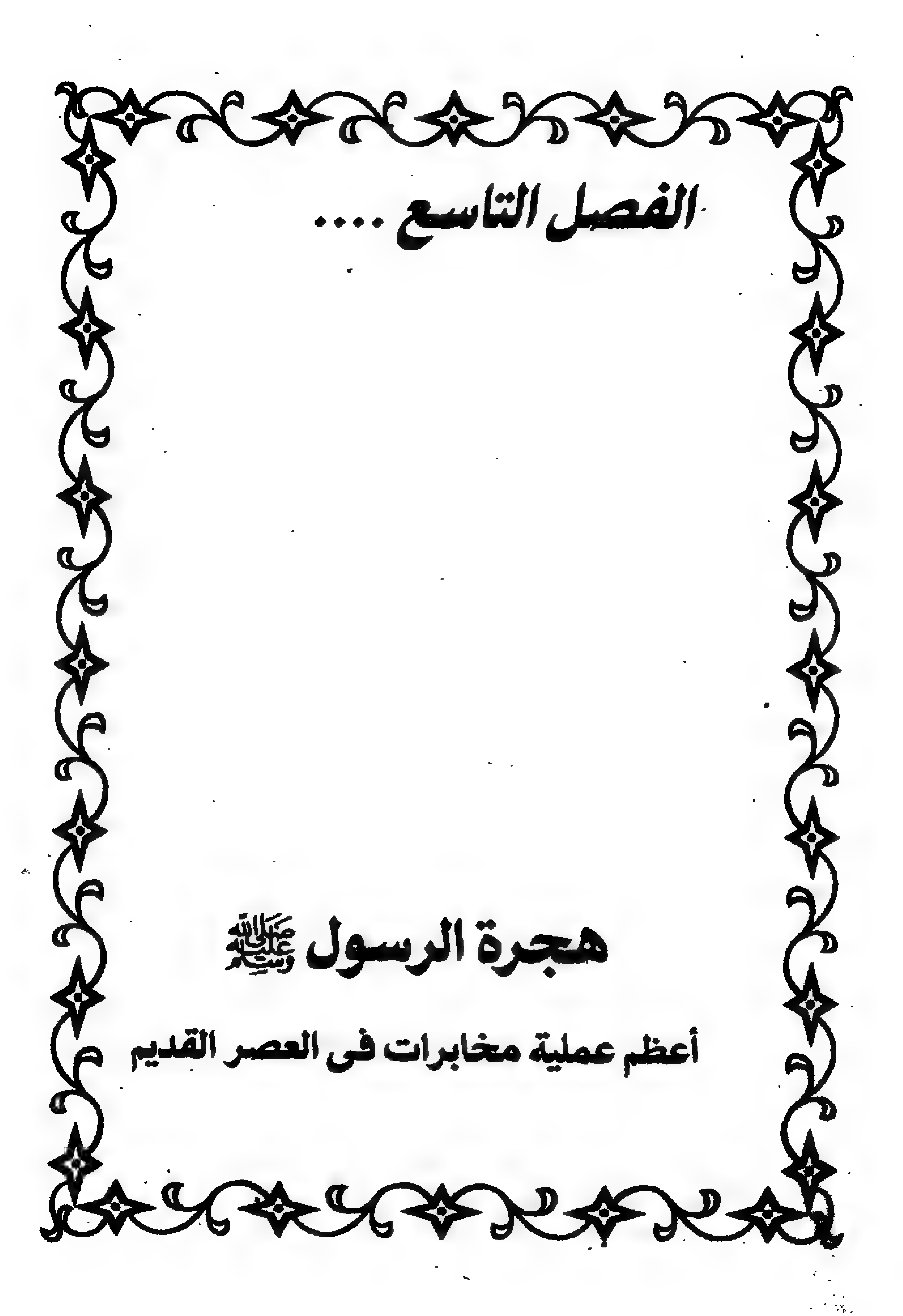
سرية شجاع بن وهب الأسدى ـ سرية نجد ـ سرية كعب بن عمير ـ غزوة مؤتة ـ غزوة ذات السلاسل ـ غزوة سيف البحر ـ سرية أبى قتادة إلى خضره ـ غزوة بنى جذيمة ـ غزوة حنين ـ غزوة أو طاس ـ غزوة الطائف .

ـ السنة التاسعة من الهجرة

سرية الضحاك بن سفيان إلى القرطاء ــ سرية علقمه بن مجزز المدلجي ــ سرية على بن أبى طالب إلى الفلس ـ سرية عكاشه بن محصن إلى أرض عذره ـ غزوة تبوك .

ـ عن عبد الله بن زيد عن أبيه قال غزا رسول الله تسع عشرة غزوة قاتل فى ثمان منها وكانت سراياه التى بعث بها ٤٧ سرية والغزوات التى قاتل فيها الرسول هى بدر ـ أحد المريسيع ـ الخندق ـ بنى قريظه ـ خيبر ـ فتح مكة ـ حنين .

●✱●✱●✱●



الفصل التاسع ....

هجرة الرسول ﷺ

أعظم عملية مخابرات فى العصر القديم

هجرة الرسول ...

أعظم عملية مخابرات فى العصر القديم...!

قبل أن ندخل فى معمعة المعارك والحروب التى خاضها المسلمون تحت قيادة الرسول ﷺ عليه وسلم فى الغزوات والسرايا. نود أن نقف أمام (عملية) هجرة الرسول من مكة إلى المدينة لأنها تمثل فى رأينا إحدى أعظم عمليات المخابرات فى العالم القديم. فإذا كانت المخابرات تعنى قديما وحديثا السرية التامة حتى لا تتسرب أي خطط أو معلومات إلى الخصم ثم الحرص على معرفة اكبر قدر من معلومات وخطط الخصم وأخيرا عمليات التمويه والخداع التكتيكى حتى يبنى الخصم خططا وهمية ليس لها وجود إلا فى ذهنه فقط - إذا كانت المخابرات تمثل كل هذا فلابد أن هجرة الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة تعد من أعظم عمليات المخابرات لأنها شملت على ذلك كله فى أرقى وأعظم صورة.. فعلى مدى ثلاثة عشر عاما عاش الرسول ومعه المسلمون فى مكة تحت وطأة أقسى صنوف العذاب والتنكيل من قريش ولم يكن الرسول يملك لصحابته إلا أمرهم بالصبر طمعا فى الجنة ثم أذن الرسول الكريم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين وكان فتح الله عظيما على المسلمين عند تمكن محمد عليه السلام من عقد إتفاق النصرة والحماية مع أهل يثرب.. وهنا أدرك

القرشيون أن الرسول حتما سيهـاجر إلى يثرب حبذا بعد أن سبقه بعض صحابته بالهجرة ورأى أهل مكـة فى تلك الهجرة خطرا عليهم وخاصة على تجارتهم مع الشـام التى تمر بيثرب فأجمعوا أمـرهم على أن يقتلوا محمدا حتى يدرءوا عن أنفسهم هذا الخطر. على الجانب الأخر كان الرسول عليه السلام كتوما حريصا ولم يجعل لأحد إلى سره سبيلا حتى أبو بكـر الصديق الذى أستأذن من الـرسول فى الهجرة معـه فأستمهله النبى بعض الـوقت فأعد أبـو بكر راحلتين وظل لا يعـرف من الامر إلا قليلا. وظل الرسول بمكة حتى علم من أمر قريش ما علم حتى لم يبق من المسلمين بهـا إلا القليل ، وإنتظـارا لأمر ربـه. فلمـا جاءه الأمـر الإلهى بـالهجـرة ذهب إلى بيت أبى بكـر وأخبره بأن الله قـد أذن لـه بالهجره وطلب من الصديق أن يصحبه فى هجـرته. وهنا تبدأ قصة من أجل وأعظم مـا عـرف تـاريخ المغـامـرة فى سبيل الحق والعقيـدة والإيمان. وكان أبو بكر قد أعد راحلتيه ودفعهما إلى عبد الله بن أريقط يرعـاهما لميعـادهما. وفى ليلة الهجـرة أسر الرسـول إلى على بن أبى طالب أن يتسجى بـرده الحضرمى الأخضـر وأن ينام فى فراشـه وهكذا يصبح على بن أبى طالب أول بطل من أبطـال مخابرات الرسـول بقيامه بهذا العمل المحفـوف بالمخـاطر بـالتمويـه على كفار قـريش. وأمر الرسول عليـاً أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عنه الـودائع والأمانات التى كـانت للناس عنـده. . وكان فتيـة قريش قـد تحلقوا حـول بيت رسول الله وراحوا ينظرون من فرجة إلى مكان نوم النبي فيرون فى الفراش

رجلا فتطمئن نفوسهم إلى أنه لم يفر فلما كان الثلث الاخير من الليل خرج الرسول فى غفلة منهم إلى دار أبى بكر وخرجا من ظهر الدار وإنطلقا جنوبا إلى غار (ثور) فإتجاههما نحو اليمن لم يكن مما يرد بالبال وزاد الرسول فى التمويه بأن سلك طرقا غير مألوفة . ولم يكن يعلم بمخبىء الرسول وصاحبه فى الغار إلا عبد الله بن أبى بكر وأختيه عائشة وأسماء ومولاهم عامر بن فهير ومن هؤلاء تكونت أول كتيبة مخابرات فى الإسلام عملت بكل الدقة والتنسيق حتى نجحت فى مهمتها. فرغم أننا لا يمكن أن نغفل أبدا (العامل الإلهى) فى معجزة الهجرة إلا أننا أيضا يجب ألا نضع من قيمة (العامل البشرى) الذى استثمر (أسباب الله) أفضل إستثمار فحصل على أعظم النتائج .
حيث كان عبد الله بن أبى بكر يقضى نهاره بين قريش يستمع ما يأتمرون بالرسول ليذهب ليلا إلى النبى وأبيه يقص عليهما ما سمعه .
وكانت أسماء (ذات النطاقين) تحمل الطعام إلى المهاجرين العظيمين أما عامر فكان يرعى غنم أبى بكر فإذا أمسى أراح عليهما فأحتلبا وذبحا وإذا عاد عبد الله من الغار تبعه عامر بالغنم فعفى على أثار قدميه وقدمي أسماء لأن قريش كما نعلم كانت خبيرة (بالأثر) فكان لابد من طمس معالم الأقدام حتى لا تدلهم على مكان الرسول وصاحبه. وظل الرسول بالغار ثلاثة أيام أقبل خلالها فتيان قريش من كل بطن رجل ولقوا راعيا على مقربة من الغار فسألوه عن محمد وصاحبه فكان جوابه قد يكونان بالغار وإن كنت لم أر أحداً أمامه. ونظر أحدهم إلى الغار وعاد ليقول إن عليه العنكبوت من قبل

ميلاد محمد وقد رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد . . وهكذا نجد أنـه عندما تنقطع الاسباب يتدخل (المسبب) سبحانه وتعالى لينفذ مشيئته وإرادته فى إنقاذ رسوله الكريم وفى اليوم الثالث حيـن سكن الناس أتى عبد الله بـن أزيقط إلى الغار بـالبعيرين للرسول وأبى بكر وبعير له واتخذوا إلـى يثرب طريقاً غير الطريق الذى ألف الناس متجهين إلى الجنوب بـأسفل مكة ثم متجهين إلى تهـامة على مقربة من شـاطىء البحر الأحمر ولما كانوا فى غيـر الطريق الذى ألف الناس اتجـه عبد الله بن أريقط وهـو دليل الرحلـة بالـركب شمالا محاذيـا الشاطىء مع الإبتعاد عنه متخـذا من السبل ما ندر أن يطـرقه أحد وأمضى الركب الليل وصدر النهار على الرواحل لا يعبأ بمشقة أو تعب .

ورغم كل هـذا الحـرص فقـد رأى الـركب رجل فأسـرع إلى قـريش وأخبرهم أنه رأى ثلاثة مروا عليه يعتقدهم محمداً وبعض أصحابه وكان سراقـة بن مالك بن جعشم حـاضرا فقـال إنما هم بنـو فلان ليضلل القوم ويفوز بمغنم النوق المـائة التى حددتها قريش لمن يقبض على الرسـول ومكث سراقة مع القوم قليـلا ثم عاد إلى بيته فتدجج بسـلاحه وأمر بفـرسه فأرسـل إلى بطن الوادى حتى لا يـراه أحد سـاعة خـروجه وإمتطاه ودفعه إلى النـاحية التى ذكر الرجل وكان الرسـول وصاحباه قد اناخـوا فى ظل صخرة ليقيلوا أو لينـالوا من الطعام والشـراب وبدأت الشمس تنحدر ويدأوا يفكرون فى إمتطـاء الإبل وإذا بسراقة قيد البصر وكان جوادهقد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما أجهده ولكز سراقة جواده

ليمسك بيده ساعة الظفر لكن الجواد كبا كبوة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره يتدحرج فى سلاحه وهنا علم سراقة أن الآلهة مانعة منه ضالته فنادى القوم . . أنا سراقة بن جعشم أنظرونى أكلمكم فوالله لأريبكم ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه وطلب إلى الرسول أن يكتب له كتابا يكون آية بينه وبينه وكتب أبو بكر بأمر الرسول كتابا ألقاه إلى سراقة فأخذه وعاد أدراجه وأخذ نفسه بتضليل من يطاردون المهاجر العظيم بعد أن كان يطارده واستمر الرسول وصاحباه يسيرون لمدة سبعة أيام فى ظروف جوية شديدة القيظ والحرارة وبلغوا مقام قبيلة بنى سهم وجاء إليهم شيخها (بريده) يحيهم فزالت مخاوفهم وأطمأنوا لنصر الله وقد صاروا من يثرب قاب قوسين أو أدنى وكان أهل يثرب قد علموا بأمر خروج الرسول فراحوا ينتظرونه عند أطراف المدينة وإنهم لينتظرون يوما كعادتهم إذ صاح بهم رجل يهودى كان قد رأى ما يصنعون (يا بنى قيلة هذا صاحبكم قد جاء).

. وكان اليوم جمعة فخرج أهل يثرب مهللين مرحبين بالرسول الكريم وقالوا نشيدهم الجميل .

طلع البــدر علينا *** من ثنية الوداع

وجب الشكر علينا *** مادعى لله داع

●*●*●



الفصل العاشر ....

مخابرات الرسول ﷺ

النبى الأمى الذى غير التاريخ .. !

مخابرات الرسول

النبى الأمى الذى غير التاريخ..!

لا شك فى أن مناط الإعجاز فى رسول الله ﷺ هو (بشريته) ذلك النبى الأمى الذى غير التاريخ وأصبح معجزة برسالة ربه إليه ومعجزة أيضا بشخصيته الفذة العملاقة التى صعب على كل الدارسين الإحاطة بأبعادها وأعماقها فقد إمتلك رسول الله كل مزايا القيادة والزعامة تلك المزايا التى جعلته يركن طوال ثلاثة عشر عاما قضاها فى مكة إلى (سياسة الدعوة) فقط. . ولكنه بعد الهجرة غير من إستراتيجيته لتصبح (سياسة دولة) وبدأتُ على يديه الأسس الأولى لقيام الدولة الإسلامية - وسياسة الدوله جعلت الرسول العظيم يدرك أنه من الضرورى الحصول على المعلومات عن العدو حتى يمكن (بناء القوة) المناسبة والتى يمكنها تحقيق الهدف الذى أمر الله تعالى به وهو إيقاع الرهبة فى قلب العدو وإخافته من عاقبة عدوانه وهذا هو ما تقرره الإستراتيجية العسكرية الحديثة حين تضع (المعلومات عن العدو) على رأس الاسس التى تبنى عليها إستراتيجية الدولة من حيث تكوين قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها وأساليب قتالها وأساليب إدارة المعركة. هذا بالإضافة إلى عناصر الاستراتيجية الأخرى كالقوى الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية وغيرها ويجب أن يكون الحصول على المعلومات عن العدو (عملا مستمرا لا يتوقف) فى السلم

والحرب على حد سواء ذلك لأن القوة تتطور مع تطور العلم والخبرات المكتسبة من الحروب وهذا التطور له تأثيره المباشر على (توازن القوى) ويجب أيضا الوقوف على (أحدث) المعلومات عن العدو أولا بأول فذلك مطلب حيوى لتحقيق أمرين فى غاية الأهمية هما :

الإنذار المبكر.. وسلامة التخطيط وواقعيته :

فإذا قصرت الأمة فى هذا الأمر فإنها تفقد (المبادأة) وحرية العمل فتتعرض للمفاجأة من عدوها وتفقد القدرة على (الحركة السريعة) لمواجهة أى عدوان عليها وبشكل عام فالإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو والحصول على كافة المعلومات عنه فقدجاء التنبيه الإلهى فى القرآن الكريم محذراً (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) النساء ١٠٢ . ويقول تعالى أيضاً (وخذوا حذركم) النساء: ١٠٢ ويقول تعالى أيضاً (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا)[المائدة ٩٢] .

ومن هنا نفهم لماذا عنى الرسول القائد بأمر الاستخبارات عناية فائقة فأختار لها أكفأ العناصر. فإذا كانت أحدث مدارس المخابرات فى العالم تحدد عدة صفات لمن يقوم بأعمال الاستخبارات وأهمها الذكاء والجرأة وضبط النفس والتدريب الجيد، فقد سبق الرسول الكريم بعبقريته الفذه كل هذه المدارس وأختار لأعمال المخابرات أصحاب هذه الصفات بل إن الرسول قد وضع لاعمال المخابرات أحكم المبادىء وكانت له عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة العربية

وخارجها في بلاد فارس وبيزنطة وهناك عدة أدلة تدل على مدى كفاءة إستخبارات الرسول عليه السلام وهي :

١ ـ لم ترد في تواريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجالها.

٢ ـ كانت نيات الاعداء بالعدوان تبلغ الرسول في وقت مبكر يمكنه من إتخاذ اجراءات المواجهة حسبما يقتضي الموقف.

٣ ـ لم يضع عليه الصلاة والسلام خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح.

٤ ـ لم يستطع الاعداء كشف أسرار المسلمين وخططهم ونواياهم.

٥ ـ احتفاظ جيش الرسول بالمبادأة في أغلب معاركه مع الاعداء وذلك بفضل كفاءة جهاز المخابرات.

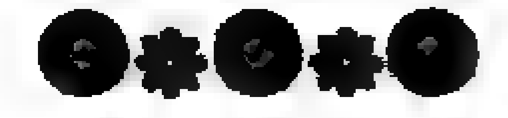
* وقد أدرك الرسول الكريم بفطرته السليمة أن أعمال التجسس لازمة لكل جيش سواء كان ذلك قبل الإشتباك الحربي أو في خلال الحرب فبها يعرف القائد نيات عدوه ويحصل على معلومات تفيده في وضع خططه وكانت عادة الرسول أنه يكثر من العيون في غزواته كلها حتى يعرف عن عدوه أكبر قدر مستطاع من المعلومات ولذا أمر زيد بن ثابت ، ان يتعلم لغة اليهود وكتابتهم فتعلمها. ولا ريب في أن معرفة لغة الأعداء تخدم صاحبها في الحروب أجل الخدمات وقد استن رسول الله لرجال مخابراته منهجا يعد من أحدث المناهج في زماننا وذلك أنه كان ينهاهم عند خروجهم أن يحدث أحدهم حديثا ينبه إليه

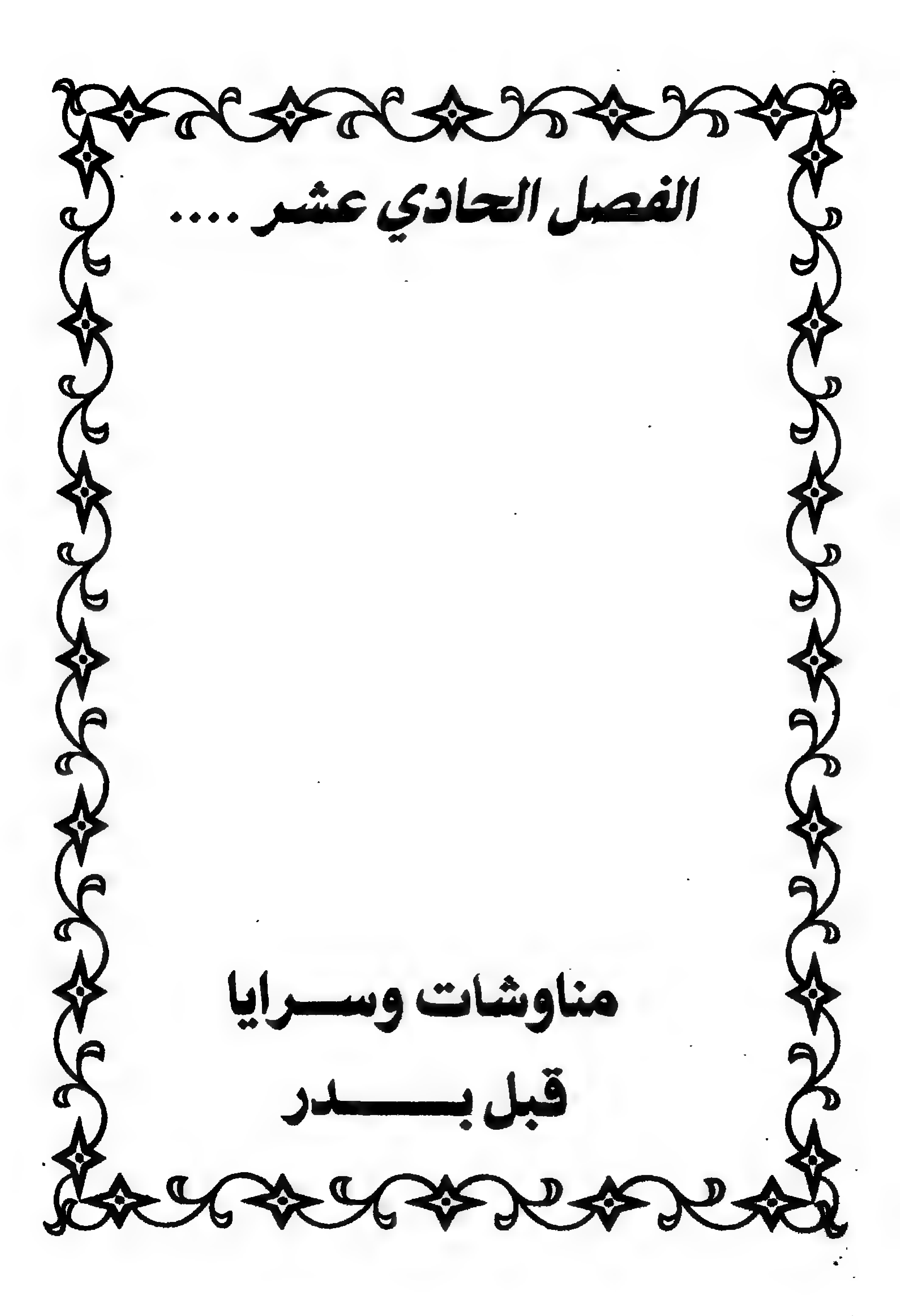
أو يقتل أحـداً إذا أجبـر على ذلك لأن فوز الجـاسـوس بـالمعلومـات النافعـة أهم فى نظر القيادة الحكيمـة من قتل عدة فوارس . وقـد ابتكر الرسـول طريقة جـديدة فى عالم المخابـرات لم تعرفها أحـدث أجهزة المخابرات فى العصـر الحديث وهى ما يعرف بـ (الأوامـر المختومة) حيث يحمل رجل المخابرات رسالة مغلقة من قائده ولا يفتحها إلا فى مكان معين وزمان معين .

لم يكن الرسول معتديا

وقبل أن ندخل إلى عالم العبقرية الحربية للرسول ﷺ نؤكد على أن الرسول فى كل حروبه لم يكن أبداً معتديا فكل حروبه كانت دفاعا عن النفس والعقيدة حتى الحروب التى كانت لـه (المبادأة) فيها فقد كانت دفاعا عن النفس والعقيـدة بعد أن نكث الأعداء بالعهد وكـان الرسول يرى فى الحرب ضرورة بغيضة يلجأ إليهـا ولا حيلة له فى إجتنابها وكان يتجنبها كلما تيسرت له الحيلة الناجحة .

وقد نظم الإسـلام نزعـة الحرب أسمى تنظيم ووجههـا أسلم وجهة وأنزلها فى المنزلة التى خلقت من أجلها وقد كان الرسول أول من استن (أخلاقيات الحرب) فقد أعطى أوامره المشـددة بأنه لا يجوز بأية حال قتل غير المحاربين فى الميدان ومنع الـرسول التعرض للنساء والأطفال والشيـوخ والـرهبـان وحـرم اتـلاف الأمـوال والإحـراق بـالنـار والتمثيل بالقتلى .





الفصل الحادي عشر ....

مناوشات وســرايا
قبل بـــــدر

مناوشـــات قبل بدر

لم يشترك الأنصـار (أهل يثرب) فى كل السـرايا والمنـاوشات التى سبقت غزوة بدر وذلك لأن الرسول قد عـاهدهم علي أن يدافعوا عنه لا أن يهاجموا معه. ولم يذهب الرسـول بنفسه فى هذه السرايا ولكنه كان موجودا بالتخطيط والتوجيه حيث كان يهدف من وراء هذه السرايا إلي :

١ ـــ رغبتـه أن تشعـــر قـريش أن المسلمين فى المـدينـــة قـوة في إستطاعتهم قطع طـريق القوافل إلي الشام وأن هذا معنـاه ضرورة إعادة النظر في مـوقف قريش من محمـد وأصحابه وأن علي قـريش أن تفكر جديًا في أن مصلحتها تقتضى التفاهم مع المسلمين فتكفل لهم حرية الدعوة إلي الدين في مقابل سلامة تجارتهم وقوافلهم

٢ ـ رغبة الرسول في أن يعقـد الصلح والمعاهدات مع القبائل التى تقطن بجوار المدينة.

* وقد بدأت سرايا الرسول بعد ستةأشهر فقط من هجرته الي المدينة ويجب أن نؤكـد على أن هذه السرايا كـانت أحد أهم (مظاهـر) وجود الدولة الإسلامية الجديدة

.. والسرية جماعة من المقاتلين وأقصاها أربعمائة مقاتل.

سرية حمزة..

علم الرسول من عيونه ورجال مخابـراته بأن قافلة لقريش بقيادة أبى

جهل ابن هشام تتكون من ثلاثمائة راكب من أهل مكة في طريقها إلي الشام . وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الأولي للهجرة فبعث الرسول عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكبا ، من المهاجرين إلي سيف البحر (شاطىء) من ناحية العيص (ناحية من نواحي المدينة) وعقد له لواء أبيض حملة أبو رثد وأمره أن يعترض قافلة قريش وكان الرسول عليه السلام يريد أن يفرض علي قريش نوعًا من الحصار الإقتصادى وذلك بأن يصادر تجارتها في ذهابها و إيابها ليكون في ذلك عقابًا لمشركي مكة فتضعف قوتهم المادية ومن ثم تضعف قوتهم العسكرية والتقي الجمعان إلا أن مجدي بن عمرو الجهني اعترض الفريقين وكان موادعًا للطرفين فدعاهما إلي الانصراف فأنصرفا دون قتال . .

سرية عبيدة

في شوال من السنة الأولي للهجرة جاءت الأخبار إلي الرسول بأن تجارة قريش في الطريق فبعث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواءً ابيض حمله سطح بن أثانه ليعترض تجارة قريش فسار عبيدة حتي بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فوجد عندها جمعا من قريش يبلغ المائتين بقيادة مكرز بن حفص ولم يحدث بينهما قتال إلا أن سعلمبن أبى وقاص رمى بهم وربحت هذه السرية خروج المقداد بن عمر وعتبة بن غزوان من صفوف المشركين ليدخلا في صفوف المسلمين .

غزوة الأبواء

الأبواء قرية تقع بين مكة والمدينة وسميت هكذا لتبوء السيول بها وقيل لما كان بها من الوباء واطلق التجار علي هذه الغزوة الأبواء وأطلق عليها ابن الخفاف (ودان) لقرب المكانين حيث يفصل بينهما ستة أميال .

حدثت هذه الغزوة في بداية السنة الثانية من الهجرة حينما علم الرسول من عيونه المبثوثه أن تجارة كبيرة لقريش ستمر بطريق الشام فقرر الرسول ﷺ أن يقود هذه الغزوة بنفسه و استخلف علي المدينة سعد بن عبادة وخرج وسط جمع من المهاجرين دون الأنصار ومضي جيش الرسول حتي بلغ ودان ليكتشفوا أن عير قريش قد سبقتهم ومرت قبلهم فلم يحدث إشتباك ولكن الرسول صالح بني خمرة وحالفها . . وكانت هذه أول غزوة للرسول غاب فيها عن المدينة خمس عشرة ليلة .

غزوة بواط

بواط جبل ناحية رضوي وهو أحد الجبال التي بني منها أساس الكعبة فبغد عودة الرسول من غزوة الأبواء جاءته أخبار عاجلة من رجال مخابراته بأن عيرًا لقريش عائدة من الشام وفيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فقرر الرسول الخروج بنفسه علي رأس مائتين من المهاجرين وأستخلف علي المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وحمل لواء جيش الرسول سعد بن أبي وقاص .

ومضى الرسول حتي بلغ بواط فلم يجد العير حيث علمت قريش

بخروج الرسول فأسرعت هاربة إلي مكة فعاد جيش المسلمين دون قتال وكانت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول .

غزوة العشيرة

بعد أقل من شهرين من غزوة بواط جاءت الأخبار إلي الرسول لتؤكد بأن قافلة لقريش في طريقها إلي الشام تحمل أموالاً طائلة (١٥٠ ألف دينار وألف بعير) يقودها أبو سفيان بن حرب ومعه تسعة وثلاثون رجلاً من قريش فاستخلف الرسول علي المدينة أبا سلمه بن عبد الأسد وخرج ومعه مائتان من المهاجرين ووصل إلي العشيرة من بطن ينبع فعلم أن القافلة قد مرت قبل قدومه بأيام فعاد الرسول إلي المدينة ولكنه حالف قبل عودته بني مدلج .

غزوة سفوان

بعد عودة الرسول من غزوة العشيرة أغار كرز بن جابر الفهرى وهو من حلفاء قريش علي إبل المدينة وأغنامها فخرج النبي في طلبه وأستخلف علي المدينة زيدًا بن حارثة وسار الرسول حتي بلغ واد سفوان ناحية بدر فلم يجد كرز بن جابر وقد سلك الرسول في هذه الغزوة نقب بني دينار ثم فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة يقال لها ذات السامة فأدي الصلاة وأقام بها مسجدًا ولقد كانت هذه الغزوة السبب في أحداث غزوة بدر الكبرى لذلك يطلق عليها المؤرخون (غزوة بدر الصغرى) .

سرية عبد الله بن جحش.. الأوامر المختومة.

سوف تشهد هذه السرية إبتكارًا جديدًا في عالم المخابرات إبتكره الرسول عليه السلام ولم يكن معروفا قبل ذلك ولم تعرفه أجهزة المخابرات إلا في العصر الحديث وهذا الإبتكار هو ما نطلق عليه (الأوامر المختومة) أي الرسائل المغلقة التي يحملها الجندي من قائده ولا يفتحها إلا في مكان معين وزمان معين، ففي شهر رجب من العام الثانى للهجرة بعث الرسول عبد الله بن جحش الاسدي ومعه جماعة من المهاجرين ودفع إليه بكتاب أمره ألا يفتحه إلا بعد يومين من مسيره ثم يعمل بما فيه وبعد اليومين فض عبد الله الكتاب فوجد فيه امض حتي تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارها وحين وصل عبد الله وصحبه نخلة تخلف عن الركب سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان إذ ذهبا يبحثان عن عيرين ضلا فأسرتهما قريش دون علم عبد الله ومرت قافلة قريش فتردد عبد الله ومن معه أيقاتلوا في الشهر الحرام أم لا. ولكن واقد بن عبد الله الثميمي رمي بسهمه عمرو بن الحضري فقتله وأسر المسلمون كلاً من عثمان بن الحكم والحكم بن كيسان وغنموا كل ما في القافلة وعادوا إلي المدينة فتردد الرسول ﷺ في أخذ خمس الغنيمة حتي نزل قوله تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن

استطاعوا﴾[البقرة :٢١٧] فاطمأن قلب الرسول وحدث تبادل للأسرى فعاد سعد وعتبة وأسلم الحكم بن كيسان وحسن إسلامه حتى مات شهيدًا فى غزوة مؤتة وعاد عثمان بن عبد الله إلى مكة ليموت بها كافرًا.

غزوة بدر

معارك الإستكشاف وتحليل المعلومات

تمثل غزوة بدر في التاريخ الإسلامي (الاعلان الأول والأعظم عن ميلاد دولة المسلمين) فهي الإنتصار العسكري الأول علي قوى الشرك في مكة. وهي آخر شطر في صفحة (التوأمة) بين المهاجرين والأنصار. وهي «الترضية الإلهية» لكل الذين ظلموا وعذبوا فصبروا وصمدوا فكانت بدر (جائزة الله لكبرى) لعباده الصابرين والكلام عن غزوة بدر وآثارها طويل طويل ولا ينقطع وقد كان ولا زال (ينبوع إلهام) لكل المؤرخين أما نحن فنحاول فقط أن نلقي الضوء علي هذه الغزوة العظيمة من وجهه نظر (علماء المخابرات) وللحق فقد كانت بدر معركة من أقوي وأعظم معارك المخابرات في العصر القديم فقد سبق التلاحم العسكري بين المسلمين والمشركين ـ (معارك مخابراتية) كثيرة وطويلة في محاولة مضنية لعمل (الإستكشاف) ثم الحصول علي المعلومات و(تحليل) هذه المعلومات وأخيرا بناء الخطط العسكرية بناء علي نتائج هذا الإستكشاف وعلي تحليل المعلومات. . وسنحاول

فيما يلي أن نقرأ أحداث غزوة بدر قراءة جديدة من خلال (عيون) علماء المخابرات والجاسوسية.

خرج أبو سفيان في أوائل الخريف من السنة الثانية من الهجرة في تجارة كبيرة يقصد الشام وعلم رسول الله خبر هذه القافلة من عيونه المبثوثة في كل مكان فخرج علي رأس عدد كبير من المسلمين ووصلوا إلي (العشيرة) لكن القافلة كانت قد مرت قبل يومين من وصولهم إليها فأعتزم الرسول إنتظار هذه القافلة في طريق عودتها وبعث خلفها طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد يلتمسان خبرها فسارا حتي نزلا علي رجل يدعى (كشد الجهني) في منطقة الحوراء وأقاما عنده في خباء حتي عادت القافلة فأسرعا إلي الرسول يقولان له الخبر فوجدا الرسول قد علم الكثير عن تلك القافلة من خلال رجال مخابراته فقد علم أنها عير عظيمة اشترك فيها كل أهل مكة وتقدر بخمسين الفا من الدنانير فخطب الرسول في المسلمين قائلا (هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها).

وفي المقابل علم أبو سفيان من خلال عيونه هو الاخر بنبأ خروج الرسول لإعتراض قافلته في رحلة العودة من الشام فخاف علي تجارته بعد أن ربحت فراح بجمع الاخبار حتى نزل علي الجهني الذي نزل عليه رسولا النبي بالحوراء فسأله عن أخبار المسلمين ومع أن الجهني لم يصدقه الخبر فقد علم أن الرسول قد خرج في جمع المهاجرين والأنصار لمقابلته فأستأجر أبو سفيان رجلا يدعي (ضمضم بن عمرو

الغفاري)وبعثه مسرعا إلي مكة ليستنفر قريشا إلي أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها ووصل ضمضم إلي بطن الوادي من مكة فقطع أذني بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح يا معشر قريش (اللطيمة ـ اللطيمة والمال والتجارة) . . الفوت . . الفوت . . وما لبث أبو جهل حين سمعه أن صاح بالناس من عند الكعبة ليستنفرهم فخرجت قريش كلها ولم يبق في مكة متخلف قادر علي القتال .

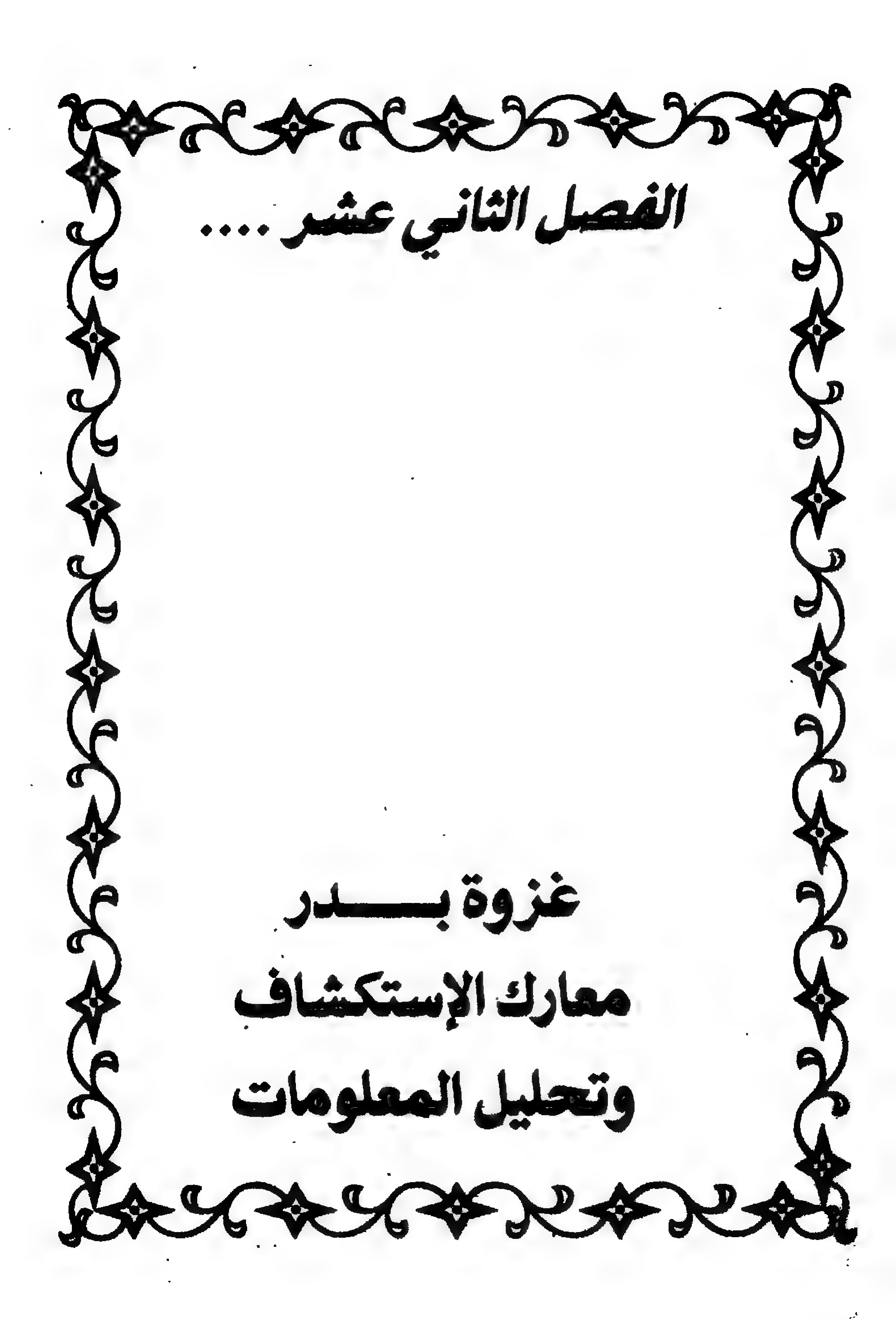
أما الرسول عليه السلام فقد خرج في أصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكانت أمام المسلمين في مسيرتهم رايتان سوداوان وكانت إبلهم سبعين بعيرًا يعتقبونها (كل ثلاثة أو أربعة يتناوبون ركوب بعير واحد حيث كان عدد المسلمين ثلاثمائة وخمسة منهم ثلاث وثمانون من المهاجرين وواحد وستون من الأوس والباقي من الخزرج . . وعندما وصلت الطلائع الاستكشافيه لجيش المسلمين إلي موضع (عرق الظبية) لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن القافلة فلم يجدوا عنده خبراً ، فانطلقوا حتى أتوا واديا يقاله «زمران» ، نزلوا فيه وهناك جاءهم الخبر من مكة بأن قريشا قد خرجت لتدافع عن عيرها فوقف الرسول خطيبا في جيش المسلمين وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش وطلب المشورة من أصحابه فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد بن عمرو فقال «يا رسول الله إمض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسي إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن إذهب أنت وربك

فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فأشرق وجه الرسول وسكت الناس فقال النبي أشيروا علي أيها الناس وكان يقصد الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة علي أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على حرب خارج حدود مدينتهم فلما أحس الأنصار أن الرسول يريدهم قام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال أجل . . قال سعد لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك علي ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع والطاعة فأمض لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك لو إستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عيناك فسر بنا على بركة الله) ولم يكد سعد يتم كلمته حتي أشرق وجه الرسول وقال (سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لأني الآن أنظر مصارع القوم)

وارتحل جيش المسلمين حتي إذا كانوا علي مقربة من بدر انطلق الرسول ومعه أبو بكر وحدهما حتي وقفا علي شيخ من العرب يقال له سفيان فسأله الرسول دون أن يعرفه الشيخ عن قريش وعن محمد فقال الشيخ سفيان قد بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا في يوم كذا فإن كان الذي أخبرت به صدقا فهم اليوم بمكان كذا، وبلغنى أن قريشا قد خرجوا يوم كذا فإن كان الذي أخبرت به صدقا فهم اليوم لمكان كذا. ولما كان المكان الذي حدده الشيخ لجيش النبي صحيحا فقدادرك الرسول أن الموقع الذي قال الرجل إن قريشا به صحيح أيضا وعاد

الرسول إلي جيشه ودعا لهم وقال (اللهم إنهم حفاة فأحملهم. . اللهم إنهم عراة فاكسهم. اللهم إنهم جياع فأشبعهم).

ويبعث الرسول (بفرقة إستكشافية) بقيادة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلي بدر يلتمسون له الخبر فوجدا غلامين من موالي قريش أحدهما لبنى الحجاج والآخر لبني العاص فأتوا بهما إلي رسول الله الذي إستجوبهما بنفسه كما يلى



الفصل الثاني عشر ....

غزوة بــــدر
معارك الإستكشاف
وتحليل المعلومات

الرسول : أخبراني عن قريش؟

الغلامان : هم وراء هذا الكثيب بالعداوة القصوىٰ.

الرسول : كم القوم؟

الغلامان : والله . . كثير عددهم، شديد بأسهم

الرسول: ما عددهم؟

الغلامان: لا ندري.

الرسول: كم تنحرون كل يوم؟

الغلامان: يوما تسعا ويوم عشرًا.

فقام الرسول بعملية (تحليل) سريعة لهذه المعلومات ثم قال لأصحابه (القوم ما بين التسعمائة والألف) قياسًا علي أن الناقة أو الجمل يمكن أن تطعم مائة رجل. . ثم عاد الرسول وسأل الغلامين عن أشراف قريش في الجيش فقالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعةوأبو البحترى بن هشام ونوفل بن خويل والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وسهيل العامري وعمرو بن عبد ود... فقال الرسول لاصحابه هذه مكة قد القت إليكم أفلاذ أكبادها. .

وعاد الرسول فبعث بفرقة إستكشافية صغيرة مكونة من رجلين فقط فسارا حتى نزلا ماء بدر فأناخا إلي تل قريب من الماء وأخذا وعاء لهما يستقيان فيه ومجدي بن عمرو بقربهما لم يفطنا إليه وسمعا جارية

تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها إنما تأتي العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهم ثم اقضى الذى لك. وصرف مجدي الجاريتين وكان عينًا لأبى سفيان وعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا. أما أبو سفيان فسبق القافلة يتسمع الأخبار حذرًا أن يكون محمد قد سبقه إلي الطريق فلما ورد الماء قال لمجدي هل أحسست أحدًا؟ فذكر له أمر الراكبين وأشار إلي حيث أناخ الرجلان، . . فأتى أبو سفيان مناخهما والتقط روث البعيرين فوجد فيه «نوى» عرف فيه علائق يثرب فعلم أن جيش المسلمين قريب فأسرع عائدًا إلي أصحابه وعدل بالسير عن الطريق مساحلاً البحر مسرعًا في مسيره حتي بعد بينه وبين محمد ونجا بقافلته، فأرسل إلى قريش يخبرهم أنه قد نجا ليرجعوا فأبى أبو جهل وقال والله لا نرجع حتي نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلاثًا ننحر الجذر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها. وتردد القوم بين إتباع أبي جهل مخافة أن يتهموا بالجبن وبين الرجوع بعد أن نجت عيرهم فلم يرجع إلا بنو زهرة الذين إتبعوا مشورة الأخنس بن شريعة وكان فيهم مطاعا. .
أما سائر قريش فقد أتبعت أبا جهل ونزلوا بالعدوة القصوى خلف كثيب من الرمل يحتمون به وراحوا يتشاورون ويتهيئون للحرب. أما المسلمون بعد أن فاتتهم غنيمة القافلة فقد أجمعوا علي أن يثبتوا للعدو إذا أجمع على محاربتهم ونزل الرسول بجيش المسلمين في مكان علي مسافة من بئر بدر. وكان الخباب بن المنذر بن الجموح عليما بالمكان فقال للرسول. . يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزله الله

فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال الخباب يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بالناس حتي نأتي أدنى ماء من القوم ننزل ثم نقور (نكيس البئر بالتراب حتي ينضب ما وراءه من القلب (جمع قليب وهو البئر) ثم نبني عليه حوضًا نملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا فرأى الرسول صواب ما أشار به الحباب فأتبع رأي صاحبه معلنًا إلي قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأي شورى بينهم وأنه لا يقطع برأي دونهم.

ولما بنى المسلمون الحوض حول البئر أشار سعد بن معاذ قائلا (يا نبي الله نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا علي عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخري جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقي حربًا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك) فأقر الرسول ما أشار به سعد.

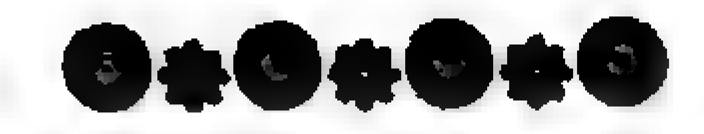
ونزلت قريش منازل القتال وبعثوا عمير بن وهب الجمحي يتقصى لهم خبر المسلمين فركب فرسه وجال به حول معسكر النبي ثم رجع إلي قومه وقال لهم ثلاثمائة أو يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا لا كمين لهم ولا مورد ولكنهم قوم ليس لهم منعه إلاسيوفهم فلا يموت الرجل منهم قبل أن يقتل رجلا مثله).

وقام عتبة بن ربيعة وهو من قادة قـريش وقال (يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بـأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًـا والله لئن أصبتموه لا يزال الـرجل ينظر في وجه رجل قتـل ابن عمه أو ابن خالـه أو رجلا من عشيرتـه فارجعـوا أو خلوا بين محمـد وسائر العـرب فإن اصابـوا فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك لـم نتعرض منه لما تكرهون . فلما بلغت أبـا جهل مقالـة عتبة استشـاط غضبا وبعث إلي عـامر بن الحضـرمى وصرخ فيه (هذا حليفك يريدأن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك)فقـام عامر وصـرخ في قريش واعمـراه فلم يبق بعد ذلك من الحرب مفر.

وكان الجيشان قـد وقفا في المواجهة ووكل منهمـا يعرف من خلال عمليات الإستكشاف وتحليل المعلومات كل شيء عن الجيش الآخر. وقد عجـل بالقتال أن انـدفع الأسود بن عبـد الأسد المخـزومي من بين صفوف قريش إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذي بنوه فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة اطاحت بساقه فسقط علي ظهره تشخب رجله دما فعاجله حمزة بضربة أخري قضت عليه دون الحوض ومـا إن سقط الاسود حتي خـرج عتبة بـن ربيعة وابن أخيـه شيبة وإبنـه الوليد بن عتبـة ودعا المسلمين إلي المبارزة فخرج لـه فتية من الأنصار فلما عرفهم قال لهم مالنا بكم حاجـة إنما نريد قومنا ونادى مناد منهم يـا محمد اخـرج الينـا اكفـاءنا من قـومنـا فخرج إليهـم حمزة بن عبـد المطلب وعلي بن أبي طـالب وعبيدة ابـن الحارث، وسـرعان مـا قتل حمزة وعلي كلاً من شيبه والوليد وأمـا عبيده وعتبه فقد أصابا كل منهما

الأخر فأسرع علي وحمزة وقتلا عتبه وحملا عبيده إلي أصحابهما .

وفي صبيحة يوم الجمعة سبعة عشر من رمضان بدأ الإلتحام بين المسلمين ومشركي قريش وأمر الرسول أصحابه ألا يحملوا علي أعدائهم إلا بأمره وكانت أخر نصائحه لجيش المسلمين قبل أن يحمى الوطيس (أبعدوهم عنكم بالنبل) ووقف عليه السلام في العزين ومعه أبو بكر يوجه المعركة ويصدر التعليمات وإشتد القتال وصال المسلمون وجالوا وفرت قريش فطاردهم المسلمون يقتلون منهم الكثير ويأسرون من لم يقتل وإنتصر الرسول وجيش المسلمين إنتصارًا عظيما حيث قتلوا من قريش سبعين رجلا وأسروا سبعين أخرين ووضعوا الأساس العظيم لبناء دولة الإسلام الكبرى .



الفصل الثالث عشر ....

مناوشات وسرايا
قبـــل أحد

مناوشات وسرايا قبل أحد.

عمل الإنتصار المدوي الذي حققه المسلمون بقيادة الرسول في غزوة بدر علي المشركين علي زيادة (التوتر) بين الطرفين فقد راحت قريش تفكر في كيف (تثأر) لنفسها لترفع عن كاهلها أعباء الذل والعار. والمسلمون بقيادة الرسول أخذوا يفكرون في كيفية الحفاظ علي إنتصارهم وكيفية تحقيق إنتصارات أخري ولكي يحسم كل طرف (الموقف) لصالحه فكان لابد من وجود (حرب) علي مستوي غزوة بدر. إلا أن مثل هذه الحرب لا تحدث بمجرد (الإرادة) فقط لأنها تحتاج إلي عوامل كثيرة ومعقدة ومن هنا لم يكن أمام المسلمين وقريش إلا القيام ببعض المناوشات والسرايا الصغيرة إنتظاراً للمعركة الكبرى.

اليهود بلا عهد..!

كان يهود بني قينقاع أغنى يهود المدينة حيث كانوا يعملون بصناعة الذهب وقد أبطرهم الغني وأعماهم الحسد لرسول الله. فذهبت امرأة من الأنصار إلي السوق لبني قيقناع تبيع بضاعة لها وجلست إلي صائغ فراودها جماعة من اليهود عن كشف وجهها فأبت. فقد الصائغ طرف ثوبها إلي ظهرها دون أن تدري فلما وقفت بانت سوءتها فضحكوا منها وصرخت المرأة تستغيث بالمسلمين فقتل أحد المسلمين الصائغ اليهودي وقتل اليهود هذا المسلم، فنقض اليهود بهذه الأفعال المشينة العهد الذي كان بينهم وبين الرسول. فلما بلغ الرسول خبر المرأة

المسلمة غضب وقال (ما على هذا أقررناهم ، ثم دعا اليهود وقال لهم (يا معشر اليهود إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة فإنكم قد عرفتم أني رسول الله تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالي إليكم به) قال اليهود بكل الوقاحة (يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله قوله تعالى ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾ [آل عمران : ١٢ ـ ١٣] .

وخشي الرسول من مواجهة اليهود لأن معلومات مخابراته أكدت له بأن حصون اليهود ممتلئة بكل أنواع السلاح ولكن الله ثبت قلب رسوله فأنزل عليه قوله تعالى ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾ [الأنفال : ٥٨] .

وكان بنو قينقاع حلفاء للخزرج فلما علم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج ما كان من الإذن الالهى من حربهم تبرأ من حلفهم، في حين تمسك عبد الله بن أبي بهذا الحلف وهو يقول (أخى الدوائر) .

وأعد الرسول جيشا كبيرا حمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان ذلك في منتصف شوال فهرب اليهود إلي حصونهم وحاصرهم المسلمون ودام الحصار ١٥ يوما فأيقن اليهود من عدم جدوى هذا الصمود الكاذب فأستسلموا وقبل الرسول وساطه عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي وقال لابن أبي : هم لك علي أن يخرجوا من المدينة ولا

يجاورونا بها فغادر اليهود المدينـة إلي منطقة (أذرعات) بالشام تاركين خلفهم سلاحهم وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغونه غنيمة المسلمين وهكذا كتب الله علي يهود بني قينقاع النفى جزاء نكوصهم بالعهد.

غزوة السويق

بعد الهزيمة المرة التي لحقت بقريش في غزوة بدر أقسم أبو سفيان ألا يمس النسـاء وألا يغسل بدنـه بمـاء حتي يغزو محمـدًا ويثأر لقتلى بدر.

ولـذلك جمع مـائتي راكب مـن قـريش وسـار بهم مستخفين حتي خرجوا قرب المدينة في منطقة (العريض) فحرقوا بيتين وقتلوا رجلين من الأنصار ولمـا وصلت الأخبار للرسـول خرج على الفور في جمـاعة من المسلمين فهـرب أبو سفيان وصحبـه وراح الرسـول يطاردهم وقـريش تلقي بـالـزاد الذي معهـا من (السـويق) حتي تخف حـركتهم ولـذلك سميت هذه الغزوة (غزوة السويق).

علـم رسول الله ﷺ من عيـونه المبثوثة في كل الطـرق أن جماعة من غطفـان تحت قيـادة (دعثور) إنتـوت الإعتـداء علي المسلمين فخـرج الرسول في جمع من أصحابـه بلغوا أربعمائة وخمسين رجلاً إلي منطقة (قرقرة الكدر) وذلك ليقطع الطريق على دعثـور الذي هرب ومعه رجاله الي ذري الجبـال فجلس الـرسـول ووضع سـلاحـه الي جـواره وتفـرق أصحابه من حوله وفجأة ينزل دعثور شاهرًا سلاحه في وجه الرسول قائلا من يمنعك مني يـا محمد فيجيبـه الرسول بكل الثبـات.. الله فيسقط

السيف من يد دعثور ويأخذه الرسول ويسأل دعثور من يمنعك مني؟ فيقول: لا أحد ويعفو عنه الرسول ليسلم الرجل ويدعو قومه إلي الإسلام.

الرهبة تهزمهم.!

علم الرسول عليه السلام من رجال مخابراته أن جمعًا من بني سليم قد بيتوا النية لغزو المدينة فخرج الرسول لملاقاتهم في ثلاثمائة من أصحابه ولما وصل إلي بحران. وجد القوم قد هربوا وتفرقوا لما علموا بقدومه فرجع إلي المدينة دون قتال.

بنو ثعلبة يفرون

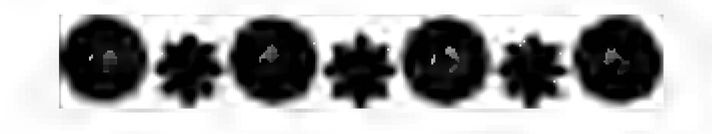
وصلت الأخبار الي الرسول تؤكد أن جماعة من بني ثعلبة ومحارب قد أعدوا العدة لغزوة سريعة علي أطراف المدينة فخرج النبي في أربعمائة وخمسين من أصحابه ولكنه لم يجد أحدًا. ووجد رجلاً من ثعلبه فأخذ في إستجوابه وعرف منه أن القوم قد هربوا إلي رؤوس الجبال.

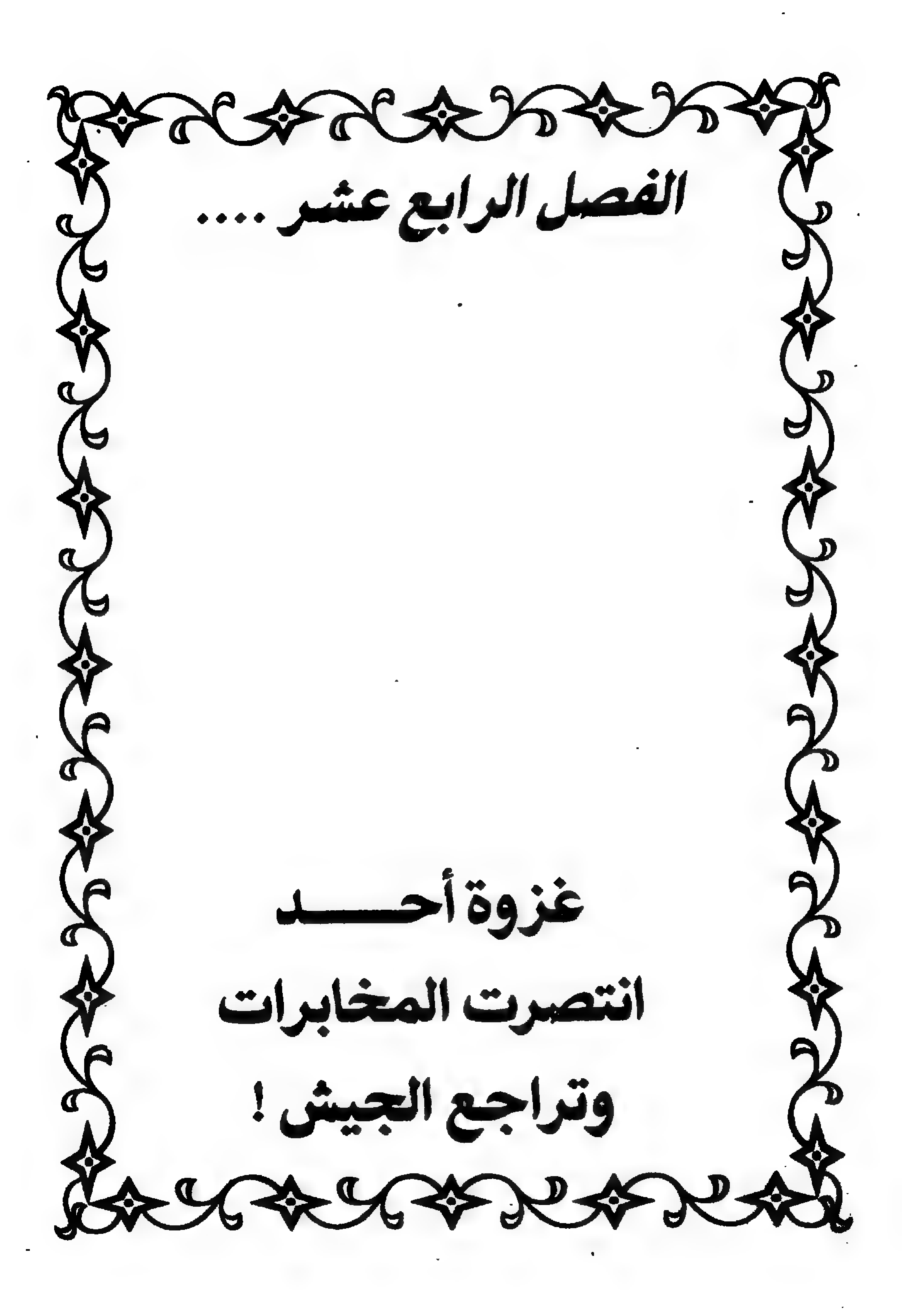
الحصار الإقتصادى

تضررت قريش من حصار الرسول عليه السلام لقوافلها في ذهابها وعودتها من الشام واجتمعوا ليتشاوروا وسأل صفوان بن أمية ماذا نفعل؟

فأجاب الأسود بن عبد المطلب (تنكب الطريق الي الساحل وخذ طريق العراق) وأضاف بأن خير دليل للطريق هو فرات بن حيان من بني بكر من وائل فلما سألوا فرات قال لهم طريق العراق ليس يطؤها أحد

من أصحـــاب محمـد فإنمـا هـي أرض نجـد وفيـاف) وحضـــر هـذه المشاورات رجل يثربي هو نعيم بن مسعـود الأشجعى فعاد إلي المدينة وجري علي لسـانه ذكر حـديث قريش ومـا صنعت. ووصل الخبر إلي رسـول الله ﷺ فبعث زيدًا بن حـارثة فـي مائة راكب واعتـرضوا تجـارة قريش عنـد القردة) ففر رجال القـافلة وأصاب المسلمون العيـر وأسروا فرات بن حيان فعرض عليه الرسول أن يسلم لينجو بنفسه فأسلم.





الفصل الرابع عشر ....

غزوة أحـــــد

انتصرت المخابرات

وتراجع الجيش !

غزوة أحد..

انتصرت المخابرات وتراجع الجيش.!

توالت الكوارث علي مشركي قريش فأنهزموا في بدر ثم غزوة السويق ثم إستولي زيد بن حارثة علي تجارتهم . ولكن عير قريش التي كان المسلمون يهدفون إلي الإستيلاء عليها قبل بدر مباشرة قد نجت . . فأجمعت قريش أمرها علي أن تباع هذه العير وتعزل أرباحها لتجهيز جيش جرار في عدده وعدته لمحاربة محمد والثأر منه وأصرت نساء قريش علي الخروج مع الغزاة فتشاور القوم واختلفوا فمن قائل بخروجهم وحجته (إنه أقمن أن يحفظكم ويذكركم قتلى بدر ونحن قوم مستميتون لا نود أن نرجع إلي دارنا حتي ندرك ثأرنا أو نموت دونه) ومن قائل بعدم خروجهن وحجته (يا معشر قريش هذا ليس برأى أن تعرضوا حرمكم لعدوكم ولا آمن أن تكون الدائرة عليكم فتفضحوا في نسائكم) واتفقت قريش في النهاية علي خروج النساء مع دعوة بقية القبائل المحيطة بها لمحاربة المسلمين وبالفعل جهزت قريش جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من مكة ومائة من ثقيف ومائتان من فارس وخرج هذا الجيش الجرار في ثلاثة الوية .

وكان العباس بن عبد المطلب عم النبي رغم حرصه علي دين آبائه في ذلك الوقت إلا أنه كان عيناً للرسول علي المشركين وكان أحد أهم

مصادر المعلـومات للنبي فلمـا رأى العباس جمـوع قريش قـد تأهبت لحـرب النبـي كتب رسَالــة يصف فيهـا صنيعهم وجمعهم وعــدتهم وعديدهم ودفع بهـا إلي رجل غفاري استأجره ليسير بهذه الـرسالة إلي النبي واشترط عليه أن يبلغ المدينة في ثلاثة أيام فيعطى الرسالة للرسول عليه السلام وسار جيش قريش حتي بلغ (الأبواء) ثم العقيق ثم نزل عند السفوح من جبل أحد علي بعد خمسة أميال من المدينة .

ووصل الرجل الغفاري بكتاب العباس إلي رسول الله ولأن الرسول لا يقرأ فقد جعل أبي بن كعب يقرأ الرسالة واستكتمه النبي علي ما فيها ثم قصد إلي دار سعد بن الربيع فقص عليـه ما بعث به العباس واستكتمه أيضا إياه إلا أن زوج سعد سمعت ما دار فلم يبق الأمر سرًا .

ولكي يحصل الـرسول علي أكبـر قدر من المعلـومات أرسل أنسًـا ومؤنسًا ابني فضاله) يتنظرا خبر قريش فعادا واخبرا النبي بأن قريشًا على مشارف المـدينة وقد أطلقت خيلهـا وإبلها ترعي زروع يثـرب المحيطة بها .

وبعث الرسـول مرة أخـرى (الحباب بن المنـذر بن الجموح) ليعلم آخر أخبار جيش قريش فعاد الحباب ليؤكد كلام الغباس وأنس ومؤنس ثم خرج سلمة بن سلامة يتصيـد الأخبار فإذا طليعة خيل قريش تقترب من المـدينة وتكاد تـدخلها وعـاد فأخبر أهـل المدينة بمـا رأى فخشى الأوس والخزرج وأهل المدينة جميعا عاقبـة هذه الغزوة التي أعدت لها قـريش خير مـا أعدت في كل تـاريخ حروبهـا وأصدر الـرسول عليـه

السلام عـدة أوامر سريعـة فبات المسلمون في المسجـد وتولي جيش المسلمين حراسة المـدينة طوال الليل وفي الصباح جمـع الرسول أهل الرأي للتشـاور وعرض عليهـم أن يتحصنوا بـالمدينـة وأن يدعوا قـريشا خارجها ورأي عبد الله بن أبي بن سلول رأي النبي وقال (لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها ونجعل النساء والأطفـال في هذا الصياحي ونجعل معهم الحجارة ونشبك المـدينة بالبنيـان فنكون كالحصن من كل نـاحية فإذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال بالحجارة و قاتلناه بأسيافنا في السكك إن مدينتنـا يا رسول الله عذراء مـافضت علينا قط وما دخل علينـا عدو فيها إلا أصبنـاه وما خـرجنا منهـا إلي عدو قط إلا أصـاب منا دعهـم يا رسول الله وأطعنى في هـذا الأمر فأني ورثت هـذا الرأي عن أكابـر قومي وأهل الرأي منهم).

وقـال قائل آخـر (إني لا أحب أن ترجع قـريش إلى قومهـا فيقولـون حاصرنـا محمدا في صياحي يثـرب وآطامها فتكون هذه مجـرئة لقريش وهاهـم هـولاء قد وطئوا سعفنـا فإذا لم نذب عن عرضنـا لم يزرع . وإن قريشا قد مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحابيشها حتي جاؤونا قد قادوا الخيل وإمتطوا الإبل حتى نزلوا ساحتنا أفيحبسوننا في بيوتنا وصياحينا ثم يرجعون وافرين لـم يكلموا لئن فعلنا لأزدادوا جـرأة ولشنوا الغارات علينا وأصـابوا من أطرافنـا ووضعوا العيون والارصـاد علي مدينتنا ثم لقطعوا الطـريق علينا) وتتابع القـائلون بالخروج قائلين بالنصر والشجاعة أو الشهادة.

فقـال لهم الـرسول إنـي أخاف عليكم الهـزيمـة، فأبـوا مع ذلك إلا

الخـروج فلم يكن إلا أن ينزل النبي علي رأيهـم وكان اليـوم يوم جمعـة فصلي الرسـول بالناس وأخبـرهـم أن لهم النصر مـا صبروا. ودخل إلى بيته ومعه أبو بكـر وعمر فألبساه درعه وعمماه وتقلـد سيفه والناس أثناء ذلك يتحاورون فقـال أسيد بن حضير وسعـد بن معاذ وكـان ممن أشار بالتحصن بـالمدينة للذيـن رأوا الخروج منها (لقد رأيتم رسـول الله يرى التحصن بالمـدينة فقلتم مـا قلتم وإستكرهتمـوه علي الخروج وهـو له كاره فـردوا الأمر اليه فما أمـركم به فافعلـوه وما رأيتم له فيه هـوي أو رأيا فأطيعوه).

فحسب الداعون للخـروج أنهم خالفوا الرسـول إلي شيء قد يكون فيه آية فلما خرج النبي إليهم لا بسا درعه متقلدًا سيفه أقبلوا عليه وقالوا (ما كـان لنا يا رسول الله أن نخـالفك فأصنع ما بدا لك وما كـان لنا أن نستكرهك والأمر الي الله ثم إليك).

فقال لهم الـرسول (قد دعـوتكم إلي هذا الحـديث فأبيتم وما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، انظروا مـا أمركم بـه فـابقـوه والنصر لكم مـا صبـرتم) وتقـدم الرسـول بجيش المسلمين إلى أحـد حتي نـزل بمنطقـة الشيخين (مـوقع كـان بـه في الجـاهلية شيخ أعمى وعجـوز عميـاء فسمى الشيـخين لذلك) وهنـاك بصر النبي بكتيبـة لا يعرف أهلهـا فسأل عنها فقيل هـؤلاء حلفاء ابن أبى اليهود فقـال عليه السلام لا نستنصـر بأهل شرك على أهل شـرك ما لم يسلموا. فانصرف اليهود عائدين إلى المدينة وعند الصبح انسحب ابن ابي مع كتيبة من اصحابه وبقي النبي ومعه المؤمنون حقا وهم سبعمائة

مقاتل ليقـاتلوا ثـلاثة آلاف من قريش وسـار جيش المسلمين حتى بلغ جبل أحد فأجتـاز مسالكه وجعلوه الي ظهورهم وجعـل الرسول يصف أصحابه ويضع خطة الحرب التي كانت تعتمد على وجود خمسين من الرماة على شعب الجبل قال لهم الرسول (إحمـوا لنا ظهورنا فإنا نخاف أن يجيئونه من ورائنا و إلزموا مكانكم لا تبرحوا منه و إن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تـدفعوا عنا و إنما عليكم أن ترشقـوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل) ثم نهى الرسو ، غيـر الرماة أن يقاتل أحدمنهم حتى يأمر هو بالقتال .

كـان أول من أنشب الحرب بين الفـريقين أبـو عامـر عبد عمـرو بن صيفى الأوسي وكان قد انتقل من المدينـة الى مكة يحرض قريشا على قتال النبي ولم يكن قد شهد بدرًا فخرج إلى أحد في خمسة عشر رجلا من الأوس ومعه عبيد أهل مكـة ، وكان أبو عامر هذا يـزعم أنه إذا نادى أهله المسلمين من الأوس والذين يحاربون في صف محمد لإستجابوا له وإنحازوا معـه ونصروا قريشا ، فخـرج فنادى يا معشر الأوس إنـا أبو عامر فأجابه الاوس المسلمـون لا أنعم الله بك عينا يا فاسق . ثم نشب القتال بين الفـريقين وحقق المسلمون في بدايـة المعركة نصـرًا يعد من المعجـزات العسكريـة فى الحـروب القديمـة وبـدأ جيش قريش يفـر مذعورا وبدأ المسلمون في جمع (الغنائم) وهنا خالف الرماة أمر رسول الله ولم يصبروا كمـا أمرهم بل تركـوا أماكنهم ونزلـوا ليأخذوا حظهم من الغنائم ، فاستغل خالـد ين الوليد الفرصة بعقليته الحـربية الفذة وعاود الهجوم علي جيش المسلمين فحدث هرج كبير بين صفوف المسلمين

وانتصرت قريش في الجولة الثانية من أحد و اصيب رسول الله ولكن الرسول استطاع أن يقود جيشه بحكمة وحنكة حتى يخرج من هذا المأزق وعاد المسلمون الى المدينة بعد أن فقدوا سبعين شهيدًا حزن الرسول عليهم حزنًا عظيما وخاصةعمه حمزة بن عبد المطلب أسد الإسلام الذي قامت هند بنت عتبة بالتمثيل بجثته .

ولما كان الغد من يوم أحد (١٦ شوال) أذن مؤذن النبي في المسلمين وطلب الرسول رجاله ان يسرعوا في طلب قريش وأستنفر جيشه لمطاردة المشركين واشترط ألا يخرج معه إلا من حضر غزوة أحد وخرج المسلمون يطلبون ثأرهم فوقع في روع أبي سفيان زعيم قريش أن جيش محمد قد جاء من المدينة بمدد جديد فخاف اللقاء وبلغ جيش المسلمين (حمراء الاسد) على بعد مسافة ثمانية أميال من المدينة وكان أبو سفيان وجيشه في الروحاء فمر به (معبد الخزاعي) وكان قد مر على جيش محمد فسأله أبو سفيان عن شأن المسلمين فأجابه معبد (وكان لا يزال على الشرك) أن محمدًا قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه وكلهم اشد ما يكونون عليكم حنقًا ومنكم للثأر طلبا)

وفكر أبو سفيان في أن فراره بعد النصر سيضعف هذا النصر كثيرا وخشى إن عاد أن يهزمه المسلمون فلجأ الي الحيلة الخداع فبعث مع ركب من عبد القيس يقصدون المدينة أن يبلغوا محمدًا أن أبا سفيان قد أجمع السير إليه وإلى أصحابه ليستأصل بقيتهم ولكن ذلك لم يفتر عزم النبي ولم تهن قوته وظل في مكانه يوقد النار طيلة الليل ثلاثة أيام

متـوالية ليـدل قريشـا على أنه على عـزمه وأنـه منتظر رجعتهم وأخيـرا تزعزت همة قريش وأبو سفيـان وآثروا ان يبقوا على نصرهم الذي تحقق في أحـد . . وعادوا أدراجهـم منسحبين الى مكة، ورجع الـرسـول إلي المـدينة وقـد استرد كثيـرا من مكـانة المسلمين التـى تزعـزت كثيرًا إثـر أحـــد .

❁❁❁❁❁❁❁



الفصل الخامس عشر ....

إسترداد الكرامة.. فى غزوات وسرايا ما قبل الخندق ..!

إسترداد الكرامة ...

في غزوت وسرايا ما قبل الخندق

بعد ما حدث للمسلمين في غزوة أحـد شعر النبي عليه السلام بدقة الموقف وحـرج المركـز ليس في المدينـة وحدهـا بل عند سـائر قبائل العـرب فبعـد ان كـانت هيبـة المسلمين قـد سكنت في قلـوب كل القبائل ، جاءت أحـد لترد إليهم من السكينة ما سمح لهـا أن تفكر في معارضة الرسول ومناوأته ولذلك فقد حرص عليه السلام علي أن يعرف من أخبار أهل المدينـة ومن اخبار العرب جميعا مـا يمكنه من إستعادة مكـانة المسلمين وسطـوتهم وهيبتهم في النفـوس فبث العيـون واطلق رجـال مخـابـراتـه يأتـون اليه بـالأخبـار والمعلـومـات من كل صـوب وحــــدب .

سرية أبي سلمة بن عبدالأسد

جاءت الاخبار إلي الـرسول عليه السلام من عيونه المبثوثـه تؤكد بأن صليحة وسلمة ابني خـويلد وكانا على رأس بنى أسد يحرضـان قومهما ومن اطاعهما يـريدان مهاجمة المدينة والسيـر إلى محمد في عقر داره ليصيبوا من أطراف يثرب وليغنمـوا نعماً من المسلمين التي ترعى الزروع وقد شجع بنـو أسد على ذلك إعتقـادهم بأن الرسول واصحـابه مـازالوا مضعضعين من أثر أحد ولما تيقن الرسـول من هذه الاخبار دعا اليه أبا سلمة بن عبد الاسد وعقد له لواء سرية تبلغ عدتها مائة وخمسين رجلاً منهم أبـو عبيـدة بن الجـراح وسعـد بن أبي وقـاص وأسيـد بن حضيـر

وأمرهم الرسول بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً و سلوك طريق غير مطروق حتى لا يطلع أحد على خبرهم فيفجئوا العدو بالإغارة عليه على غرة منه ونفذ ابو سلمة أمر الرسول حتى فاجأ القوم ولم يستعدوا لقتال فأحاط بهم في عماية الصبح عند قطن (اسم ماء لبنى اسد بنجد) وحصن رجاله وحرضهم على الجهاد فلم يستطع المشركون ان يثبتوا لهم فوجه لواءين في طلبهم وطلب الغنيمة وأقام هو ومن معه حتي عاد المطاردون بما غنموا إلي المدينة ظافرين بعد غيبة عشرة أيام وقد اعادوا بنصرهم إلى النفوس من هيبة المسلمين شيئًا مما ضيعت أحد.

سرية عبد الله بن أنيس

علم الرسول عليه السلام من عيونه المبثوثة ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع الناس ليغزو المدينة فدعا الرسول عبد الله بن أنيس وأمره أن يذهب ليتجسس حتى يقف على جلية الأمر. وسار عبد الله حتى لقى خالد وهو ظعن يرتاد منزلا فلما انتهى إليه سأله خالد... من الرجل؟ فأجابه عبد الله أنا رجل من العرب سمع بك وبجمعك لمحمد فجاءك لذلك، فلم يخف خالد انه يجمع الجمع ليغزو المدينة.. ولما رآه عبد الله في عزلة من الرجال وليس معه إلا أولئك النسوة استدرجه للسير معه حتى إذا أمكنته منه الفرصة حمل عليه بالسيف فقتله ثم ترك ظعائنه عليه يبكينه وعاد إلى المدينة فأخبر الرسول الخبر وهدأت بنو لحيان من هذيل بعد مقتل زعيمها زمنا ثم فكرت أن تحتال لتثأر له.

يوم الرجيع

وفد إلى الرسول وفد من قبيلة تجاور هذيل وأخبروه بأن فيهم إسلاما وطلبوا أن يبعث معهم نفرًا من أصحابه يعلمونهم شرائع الإسلام ويقرئونهم القرآن . وكان الرسول يستجيب دومًا إلى مثل هذا الطلب فبعث معهم ستة من كبار الصحابة خرجوا مع الوفد وساروا معهم فلما كانوا جميعا على ماء لهذيل بالحجاز بناحية تدعى الرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيل ووجد المسلمون الستة الرجال وبأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوا ولكن أهل هذيل قالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه الا نقتلكم ونظر المسلمون بعضهم إلى بعض وادركوا أن الذهاب إلى مكة هو المذلة والهوان وهو شر من القتل فأبوا ما وعدت هذيل وأنبروا لقتالها فقتلت هذيل ثلاثة منهم ولأن الثلاثة الباقون فأخذوهم أسرى وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم فيها وفى الطريق قتلوا أحد الثلاثة المسلمين وفى مكة باعوا زيد بن الذئنة لصفوان بن أمية حيث اشتراه ليقتله بأبيه أمية بن خلف اما الآخر وهو خبيب فقد حبسوه ثم صلبوه . . وهكذا راح المسلمون ضحية الغدر.

يوم بئر معونة

قدم عامر بن مالك إلى المدينة فعرض عليه الرسول أن يسلم فلم يقبل ولَكنه لم يظهر عداوة للإسلام وقال للنبي يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك

فخاف الرسول على أصحابه من أهل نجد وخشى أن يغدروا بهم كما غدرت هذيل بخبيب وأصحابه فلم يجب طلب أبى براء حتى قال أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا إلى امرك وكان أبو براء رجلاً مسموع الكلمة في قومه لا يخاف من اجاره عادية أحد عليه. وبعث الرسول المنذر بن عمر اخا بني ساعدة فى أربعين من خيار المسلمين فساروا حتى بلغوا بئر معونة بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ومن هنا بعثوا حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله فلم ينظر عامر في الكتاب بل قتل الرجل واستصرخ بنى عامر كى يقتلوا المسلمين فأبوا ان يخفروا ذمة أبى براء وجواره فأستصرخ عامر قبائل أخرى أجابته وخرجت معه حتى أحاطوا بالمسلمين في رحالهم فلما رآهم المسلمون اخذوا سيوفهم وقاتلوا قتالا عنيفًا حتى قتلوا عن آخرهم ولم ينج منهم إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية، وهكذا عادت هيبة المسلمين الى الاهتزاز فى أعين القبائل الأخرى.

يهود بني النضير

اهتزت هيبة المسلمين فى أعين يهود المدينة (بني النضير) ومعهم المنافقين، ورأى الرسول أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر فقرر أن يستدرجهم ليكشف خباياهم ولما كان اليهود من بني النضير حلفاء لبني عامر فقد ذهب الرسول إلى محل اقامتهم على مقربة من قباء في عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وعلى وطلب إليهم المعاونة في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية خطأ ودون أن يعلم أن الرسول اجارهما ولما ذكر الرسول ذلك لليهود اظهروا الغبطة

وحسن الاستعداد لإجابته ولكن النبى لاحظ حركة غريبة في المكان واشتم رائحة مؤامرة فقد بدأ اليهود يتهامسون وينتحى بعضهم الى ناحية ويبدو عليهم كأنهم يذكرون مقتل كعب بن الاشرف وأخذ اليهود قرارهم بقتل الرسول وقالوا فيما بينهم من يعلو هذا البيت فيلقى على محمد هذه الصخرة وتطوع منهم (عمرو بن بحاسن بن كعب)ودخل البيت الذى كان الرسول مستندا الى جداره فتيقن الرسول من مؤامرة اليهود فأنسحب من مكانه تاركًا أصحابه وراءه يظنون انه قام لبعض أمره ـ أما اليهود فقد اختلط عليهم الأمر أيغدرون بأصحاب محمد أم يتركونهم فربما لم يفتضح إئتمارهم بالرسول وأستبطأ الصحابة النبي فقاموا في طلبه فلقوا رَجلاً مقبلا من المدينة عرفوا منه أن الرسول قد دخلها وأنه قصد توا إلى المسجد، فذهبوا إليه فذكر لهم ما رابه من أمر اليهود ومن اعتزامهم الغدر به فتنبه الصحابة إلى ما رأوه وآمنوا بنفاذ بصيرة الرسول وما أوحى اليه . . وبعث النبي يطلب محمد بن سلمة وقال له اذهب الى يهود بني النضير وقل لهم إن رسول الله ارسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الضرر بي، لقد اجلتكم عشرا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه) فقال اليهود لابن سلمة يا محمد ما كنا نريد أن يأتي بهذا رجل من الأوس (وذلك إشارة إلى تحالف اليهود مع الأوس من قبل فى حرب الخزرج) فكان كل ما أجاب به ابن سلمة (القلوب تغيرت).

ومكث اليهود على ذلك أيامًا يتجهزون وإنهم لكذلك إذ جاءهم رسولان من عند عبد الله ابن أبى يقولان لا تخرجوا من دياركم وأموالكم

وأقيمـوا في حصـونكم فإن معى ألفيـن من قـومي وغيـرهـم من العـرب يـدخلـون معكم حصنكم ويمـوتـون عن آخـرهم قبل أن يصل إليكم)

وتشاور اليهود في ذلك ثم قـال كبيرهم حيي بن اخطب أنى مرسل إلى محمد إنا لا نخـرج من ديأرنا وأموالنـا فليصنع ما بدا لـه وماعلينا إلا أن نلزم حصـوننا نـدخل إليها مـاشئنا ونـدرب ازقتنا وننقل الحجـارة اليها وعندنا من الطعـام ما يكفينا سنة وماؤنا لا ينقطع ولن يحـاصرنا محمد سنة كاملة . و إنقضت مهلة الأيـام العشر ولم يخرج اليهود من ديارهم فأخـذ المسلمون السـلاح وساروا إليهم فقـاتلوهم عشـرين ليلة وكلمـا تقـدم المسلمـون تأخـر اليهـود من دار الى دار وقبل ان يتـركـوا الـدار يخربونهـا فأمر الرسول أصحـابه ان يقطعوا نخل اليهود وهـو نخل كثير موجـود في مكان يعـرف بالبويـرة تصغير بورة وهـو الحفرة وهـو مكان معـروف من جهة مسجـد قبـاء إلى جهة الغـرب . هـدف الرسـول من تقطيع النخل الا يتبقى اليهود في شـدة تعلقها بأموالهـا تتحمس للقتال وتقدم عليـه، وجزع اليهـود ونادوا يـا محمد قد كنت تنهـى عن الفساد وتصييه على من يصنعـه فما بال قطع النخل وتحريقهـا فكف الرسول عن ذلك ولكن نزل قول الله تعالى ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين﴾ [الحشر: ٥].

وعبثا انتظر اليهـود نصرة ابن أبي وأحدًا مَن العرب ولمـا ملأ اليأس قلـوبهم رعبـا سألـوا الرسـول أن يـؤمنهم على أمـوالهم ودمـائهم حتى يخرجـوا من المدينة فصالحهم علـى أن يخرجوا منها لكل ثـلاثة منهم

بعير يحملون عليه ما شاؤا من مال وطعام او شرب ليس لهم غيره.

فخرج بنو النضير فمنهم من نزل خيبر ومنهم من ذهب الى اذرعات بالشام وتركوا وراءهم مغانم كثيرة للمسلمين ولكنهم دمروا بيوتهم قبل خروجهم حتى لا يسكنها المسلمون وفي قصة بني النضير وحلفاءهم من المنافقين نزلت آيات الله تعالى فى سورة الحشر تقول ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ [الحشر: ١١ـ١٣].

كاتب السر

كان الرسول عليه السلام يستخدم رجلا من اليهود ليكتب له رسائله بالعبرية السريانية فلما حدث ما حدث من غدر اليهود ثم جلاؤهم عن المدينة خشى النبي أن يستعمل على اسراره يهوديًا فأمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغتين السريانية والعبرية فتعلمهما واصبح كاتب سر النبي فى كل شئونه.

غزوة بدر الأخرى

كان أبو سفيان قد واعد المسلمين بعد إنتهاء غزوة أحد قائلا (يوم بيوم بدر والموعد العام المقبل) وكان هذا العام عام جدل فود أبو

سفيان لو يؤجل اللقاء عاما أخر فعمد الى الحيلة والخداع ليدرأ بهما عن نفسه تهمة خلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الأشجعى وأرسله إلى المدينة برسالة كاذبة تقول أن أبا سفيان قدجمع جيشا لا مثيل لجيش من العرب بمواجهته ليحارب المسلمين ويقضى عليهم) ورأى المسلمون أن يتجنبوا الخطر فأظهر كثيرون الرغبة في عدم النهوض والسير لبدر فغضب الرسول وقال(والذي نفسي بيده لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدي) ولم يبق بعد هذه الغضبة أي اثر للتردد أو الخوف وخرج المسلمون إلى بدر بقيادة النبي في جيش عدته ألف وخمسائة رجل فوصلوا بدراً انتظروا قدوم قريش ثمانية أيام.

وكان أبو سفيان قد خرج في جيش من ألفى رجل ولكنه بعد مسيرة يومين نادى في الناس يا معشر قريش إنه لايصلحكم إلا عام خضيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فأرجعوا) ونزل في ذلك قول الله تعالى من سورة آل عمران **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾** [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وهكذا فقد محت غزوة بدر الاخرى كل أثر لأحد محوًا تامًا ولم يبقى لقريش إلا أن تنتظر عامًا آخر راحة تحت عار من جبنها لا يقل وطأة

عن عار هزيمتها في بدر الأولى .

غزوة ذات الرقاع

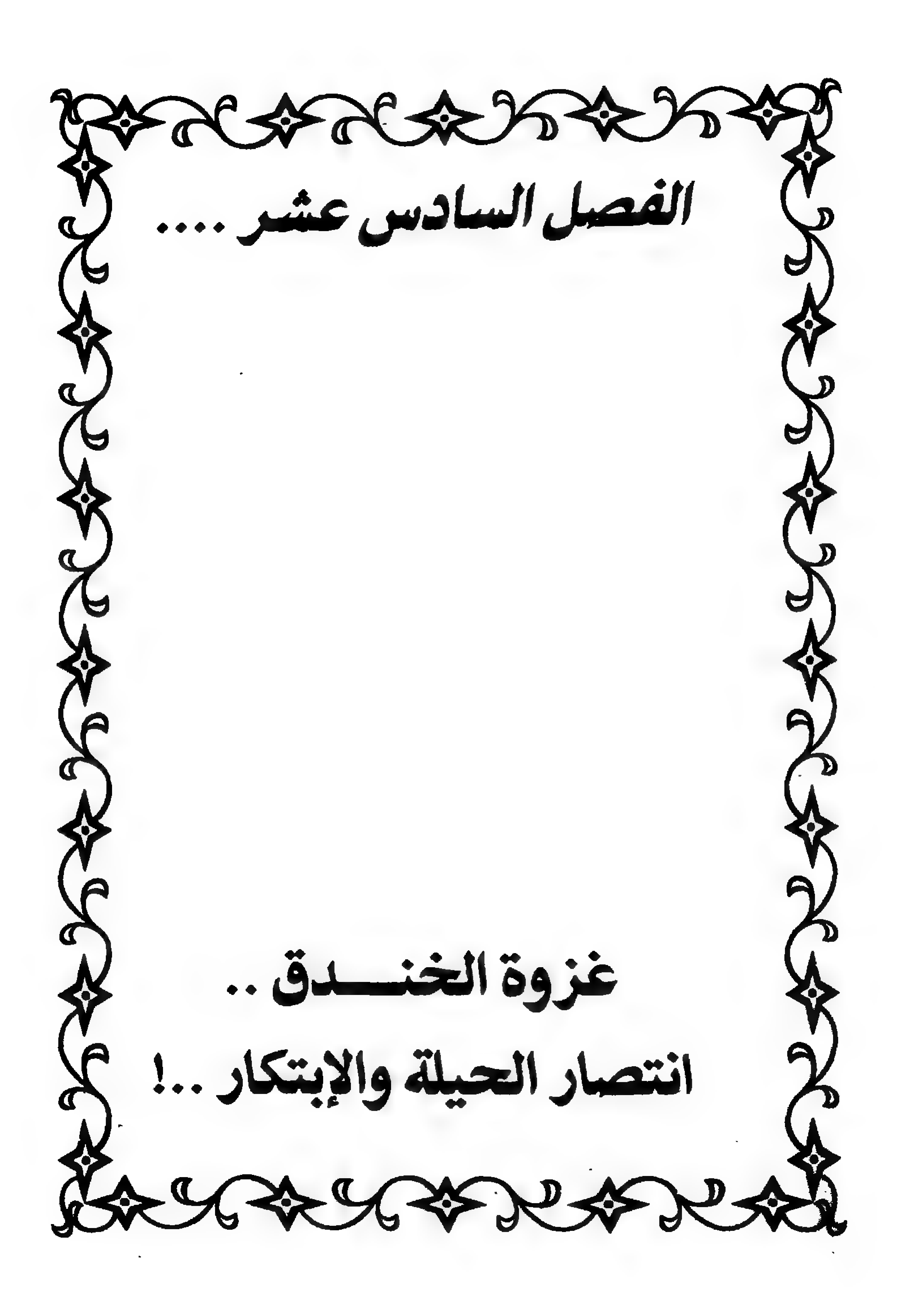
هناك خلاف حول سبب تسمية الغزوة بذات الرقاع فمن قائل لأنهم ارفعوا راياتهم فيهـا ومن قائل إنها ترجع لشجرة إسمها ذات الـرقاع كان يعبـدها العـرب ولكن الطبـرى يقـول بأنها سميت بإسـم جبل به سـواد وبيـاض وحمرة وهى من منـازل لبنى ثعلبـة على بعد من المـدينة وقـد جاءت الاخبار الى الرسول من عيونه المبثوثه أن جماعة من غطفان وهم بنـو محارب بن حفصـة بن قيس وبنـو ثعلبـه بن سعـد بن غطفان قـد جمعوا جمـوعًا لمحاربة المسلميـن فخرج محارب وبنو ثعلبـه وراه قد طلع عليهم في عـدة الحرب ومهاجمـا مساكنهم ففـروا تاركين وراءهـم نساءهـم ومتـاعهم فأحتمل المسلمون مـا إستطاعوا من الغنـائم وعادوا منصورين بلا حرب .

غزوة دومة الجندل

دومـة الجنـدل واحـة تقع على الحـدود بين الشـام والحجاز في منتصف الطريق بين البحر الأحمـر و الخليج العربى بينها وبين دمشق خمس ليـالي وبين المدينـة خمس عشـرة ليلة . فقـد علم الرسـول أن بعض القبـائل تغيـر على قـوافل المسلميـن فخـرج في جيش من الف رجل ولكنـه لم يقـاتل القبـائل التي اراد مقـاتلتهـا لأنهـا حين سمعت بإسمـه أخذهـا الفزع وولت مـدبرة وتـركت للمسلمين ما احتملـوا من

غنائم وكـان الرسول فى سيره إلـى دومة الجندل يسير ليـلاً ويكن نهاراً كخطة للإخفاء والتمويه حتى فاجأ هذه القبائل ففرت هاربة .

●●●*●*



الفصل السادس عشر ....

غزوة الخنـــدق ..
انتصار الحيلة والإبتكار ..!

غـزوة الخنـدق..

إنتصـار الحيلة والإبتكار..

بعد أن طـرد رسول الله عليـه السلام يهـود بنى النضير من المـدينة. تآمروا فيما بينهم على أن ينتقموا من النبى إنتقـامًا كبيرًا فخرج وفد منهم بقيادة حيى بن أحطب وسلام بن أبى الحقيق وكنـانة بن الحقيق وساروا إلى قريش بداية و إتفقوا معها على حرب محمد ثم ساروا إلى كل من له ثأر عند الـرسول وأخيرًا إجتمعت الأحـزاب التى دعتها اليهود لمحـاربة المسلمين فخرجت قـريش فى أربعة آلاف مقاتل بقيادة أبـو سفيان بن حرب وخـرج بنو سليم فى سبعمـائة مقاتل بقيادة عيينـه بن حصين بن حـذيفـة وخرجت مـره فى أربعمـائة محـارب بقيادة الحـرث بن عـوف وخـرجت أشجع بقيادة سعـر بن رخيله فى أربعمـائه محارب وسـارت الأحـزاب فى عشـرة آلاف محـارب تحت قيـادة أبو سفيـان قـاصـدين المدينـة فلما بلغـوها تـداول زعماء هـذه القبائل الـزعامة كل يـوم على التوالى.

وعندمـا علم الرسول نبأ هـذه الأحزاب من عيـونه المبثوثـة فى مكة وعلى الطرق فزع المسلمون فكيف يـواجهون هذه الجموع الغفيرة وراح الرسول يفكـر بعقلية القائد المحارب الشجـاع وبحث الموقف وتشاور مع أصحابه فقـدم إليه سلمان الفارسي رأيًا وجده سليما وجـديدًا فأقره

وأمر الرسول بتنفيذه فوراً وهو إقامة خندق حول المدينة. فلم يكن للعرب علم بالخنادق ولكنه كان من مكايد الفرس. وبدأ على الفور حفر الخندق وإشترك فى ذلك كل المسلمين وفى مقدمتهم الرسول الذى كان يرفع التراب ويشجع المسلمين بذلك اعظم التشجيع. وتم حفر الخندق فى ستة أيام فقط. وفى هذه الاثناء حصنت جدران المنازل التى تواجه مآتى العدو والتى بينها وبين الخندق نحو فرسخين ثم أخليت المساكن التى ظلت فيما وراء الخندق وجيء بالنساء والأطفال إلى هذه المنازل التى حصنت. ووضعت الاحجار إلى جانب الخندق من ناحية المدينة لتكون سلاحا يُرمى به عند الحاجة إليه. وبلغت قوة المسلمين ثلاثة آلاف محارب.

توقعت قريش وحلفاؤها لقاء المسدمين فى أحد فلما لم يجدوهم تقدموا إلى المدينة حتى فأجاهم الخندق فقالوا (والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيد بها) وزعموا أن التحصن خلف الخندق من الجبن. وعسكرت بعض الأحزاب بمجتمع الأسيال من رومة وعسكر البعض الأخر بذَنَب نقمى.

أما الرسول ومن معه فقد جعلوا ظهورهم إلى هضبة شلع وجعلوا الخندق بينهم وبين أعدائهم. ورأى الأحزاب أنه لا سبيل إلى اجتياز الخندق فاكتفوا بتبادل النبال عدة أيام متتابعة. ثم دب الوهن في صفوف الأحزاب حيث كان الوقت وقت برد قارص واحتمال المطر وارد فى أى وقت. وبدأ بعض الاحزاب يفكر في التراجع. ولكن اليهود

خافوا أن تضيع فرصتهم فى الانتقام من الرسول فقرر حيى بن احطب كبير خيبر أن يغامر بآخر سهامه فأخبر قادة الاحزاب أنه يستطيع إقناع يهود بنى قريظة نقض العهد مع محمد والمسلمين حيث كانت بنو قريظة تمد المسلمين بالمداد والميرة و إذا إنقطع هذا المدد ضعف المسلمون وسهل دخول المدينة . وسارع حيى فذهب إلى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة فأغلق كعب دونه باب حصنه ولكن حيى ما زال به حتى فتح له ثم قال له (ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها وقد عاهدونى وعاقدونى على الايبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه) فتردد كعب وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده ولكن حيى منا زال به يذكر له ما اصاب اليهود من محمد وما يوشك ان يصيبهم منه إذا لم تنجح الاحزاب فى القضاء عليه . حتى لان كعب له وسأله وماذا يكون إذا إرتدت الاحزاب؟ فأعطاه حيى موثقًا إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن يدخل معه فى حصنه فيشركه فى حظه وتحركت فى نفس كعب يهوديته فقبل عرض حيى ونقض عهده مع الرسول وخرج عن حياده .

وعلم الرسول نبأ إنضمام قريظة إلى الاحزاب . فخاف المسلمون مغبة ذلك .

ويعث الرسول سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحه وخوات بن جبير ليقفوا على جلية الأمر على أن يلحنوا به (الإشارة والتعريض) عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يفتوا فى عضد الناس فلما أتى هؤلاء الرسل وجدوا قريظة على

أخبث ما بلغهم عنهم. فلما حاولوا ردهم إلى عهدهم. طلب كعب إليهم ان يردوا اخوانهم يهود بنى النضير إلى ديارهم وأراد سعد بن معاذ وكان حليف قريظة ان يقنعها مخافة ان يحل بها ما حل ببنى النضير او ما هو أسوأ منه فانطلقت اليهود تسب الرسول وقال كعب من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. وعاد رسل النبى إليه بما رأوا فعظم البلاء واشتد الخوف وقطعت قريظة المدد والميرة عن المسلمين وخشى الرسول ان تدخل الاحزاب المدينة عن طريق قريظة.

وعلى الجانب الآخر ارتفعت معنويات الأحزاب بإنضمام قريظة إليهم.. وقد إستمهلت قريظة الاحزاب عشرة أيام تعد فيها عدتها على أن تقاتل الاحزاب المسلمين فى هذه الأيام العشرة اشد القتال.. وهذا ما فعلوه حيث القوا ثلاث كتائب لمحاربة الرسول فأتت كتيبة ابن الأعور السلمى من فوق الوادى وأتت كتيبة عيينه بن حصن من الجنب ووقف ابو سفيان من قبل الخندق وفى هذا الموقف نزلت آيات الله تعالى فى سورة الاحزاب ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدًا** ﴾ [الاحزاب ١٠ ـ ١١].

وعندما ارتفعت معنويات الأحزاب أندفع بعض فوارس قريش منهم عمر بن عبدود وعكرمه بن أبى جهل وضرار بن الخطاب واقتحموا الخندق بخيلهم من مكان ضيق وخرج لهم على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة وتقدم عمرو بن عبدود وكان فى التسعين من عمره ومن الشجعان المشهورين ونادى من يبارز فدعاه

على بن أبى طالب للنزال فقال فى صلف لم يابن أخى . . فوالله ما احب أن أقتلك . . فقال له على . . لكنى احب والله أن أقتلك فتنازلاً فقتله على وفر كل من اقتحم الخندق من المشركين هاربا وعائدًا إلى الأحزاب ثم أوقد الأحزاب نيرانا عظيمة مبالغة فى تخويف المسلمين وإضعافا لروحهم وبدأ المتحمسون من قريظة ينزلون من حصونهم إلى منازل المدينة القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها . وكانت صفية بنت عبد المطلب فى حصن مع النساء والصبيان ومعهم الشاعر حسان بن ثابت فمر يهودى يطوف بالحصن فطلبت صفية من حسان أن يقتله خشية ان يدل اليهود على عورتهم فقال حسان يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب . والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . . فأخذت صفية عمودًا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته . .

واشتدت الازمة وفكر الرسول فى حيلة يفك بها هذا الحصار فبعث إلى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هى ارتحلت وكانت غطفان قد بدأت تمل من طول الحصار . .

وفجأة وفى ذروة الأزمة قدم إلى الرسول نعيم بن مسعود يعلن إسلامه ويقول يارسول الله إن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت وهنا التمعت فى ذهن الرسول حيلة عظيمة فقال لنعيم إكتم عليك إسلامك ثم ارسله لتنفيذ حيلته العظيمة . حيث كان نعيم صديقا لبنى قريظة فبعثه الرسول إليهم فرحبوا به وقال لهم (إنى جئتكم تخوفا عليكم لأشير عليكم برأيى . يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم) فقالوا (صدقت ولست عندنا بمتهم فقال نعيم (إكتموا عنى)

قالوا . . نفعل . . فقال (لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وأن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم . البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناءكم لا تقدرورن على أن ترحلوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان قد جاؤ الحرب محمد وأصحابه ونساؤهم بعيدة فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة (فرصة) أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادهم والرجل ببلادكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا حتى يناجزوه ويقاتلوه (فقال اليهود لقد أشرت بالرأى والنصح وإنا فاعلون) .

ثم إتجه نعيم إلى قريش ليكمل بقية الحيلة حيث تحدث مع أبى سفيان ومن معه من أشراف قريش وقال لهم (قد عرفتم ودي لكم وإنه قد بلغنى أمر رأيت أن أبلغكموه نصحًا لكم، إن يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك إن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيك إياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارنا ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فارسل إليهم محمد أن نعم. فإن بعث إليكم بنو يهود تلتمس منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحدًا واحذروا على أسراركم) .

ثم ذهب نعيم اخيرا إلى غطفان وقال لهم إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونى ثم قال لهم مثل ما قال لقريش

وحذرهم.

ونجح نعيم نجاحًا باهرًا فى مهمته إذ أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة يقول لهم (إنا لسنا مقام وقد هلك الخف والحافر فأغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا) فقالوا له إن اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعد السبت. ومع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلاً) ولجأ أبو سفيان إلى غطفان فإذا بها هى الأخرى تتردد فى الإقدام على قتال محمد متأثرة بما كان قد وعدها من منحها ثلث ثمار المدينة.

وفى ظل كل هذه المتغيرات أمر الرسول عليه السلام حذيفة بن اليمان ان يتسلل بين صفوف الاعداء ليعلم عنهم كل الاخبار ويصف حذيفة مهمته قائلاً.. دعانى رسول الله فقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يصنعون. لاتحدثن شيئا حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت فى القوم (معسكر قريش) والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام ابو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر إمرؤ من جليسه ؟ قال حذيقة فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى فأخذت بيده فقلت من أنت؟ قال: معاوية بن أبى سفيان ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى فقلت من انت؟ قال: عمرو بن العاص ويضيف حذيفة لقد فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فبادرتهم المسألة).

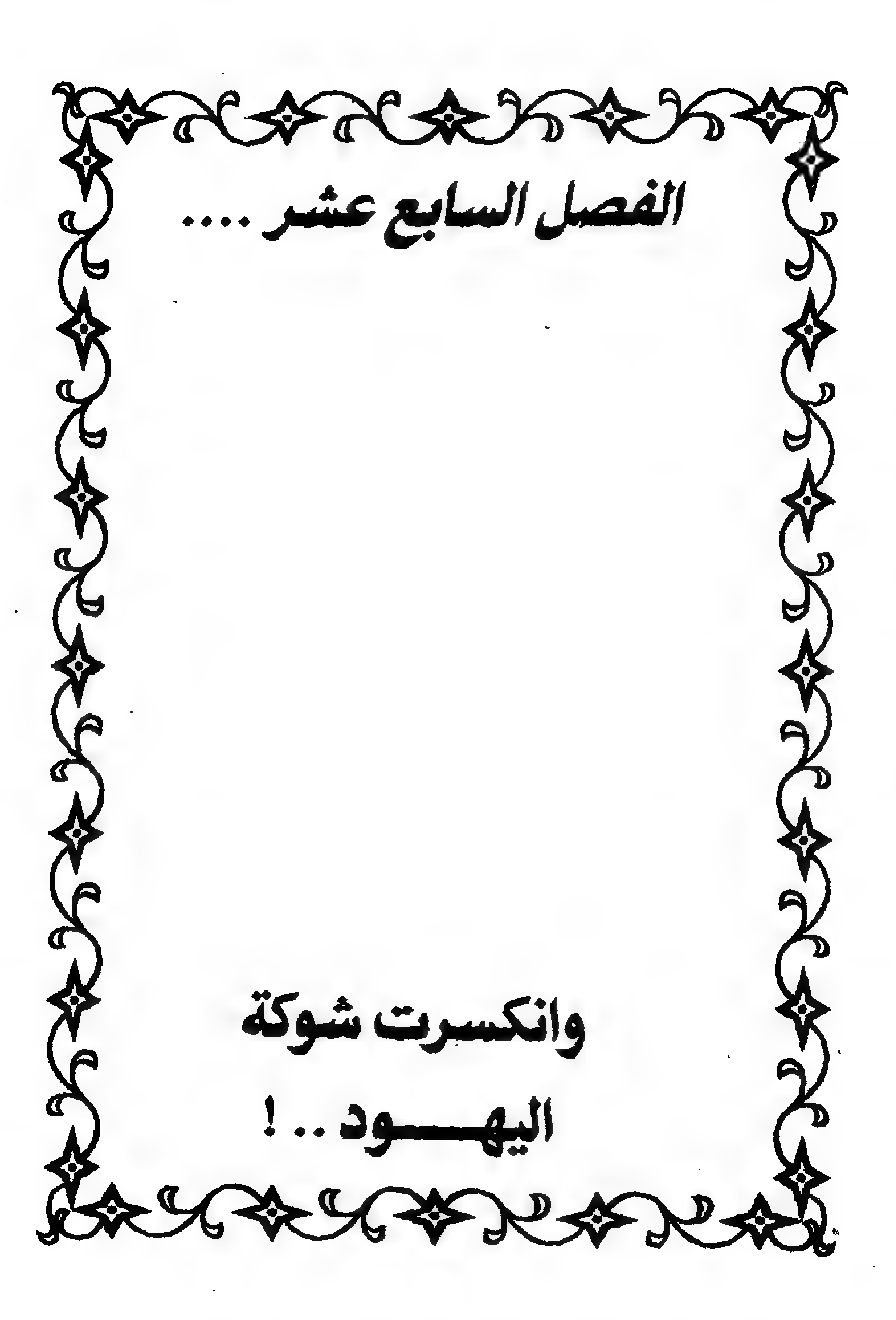
وكان الوقت شتاء شديد البرودة قارسًا ذا عواصف رملية ورياح

هوجاء كفأت قدور الأحزاب وطرحت أبنيتهم وقلعت بيوتهم وهدمت خيامهم وصارت الريح تلقى بالرجال وتطفىء النيران وتملأ عيونهم واشتدت الريح بصوت مثل الصواعق واظلمت من شدتها الدنيا وهطلت الامطار غزيرة وقصف الرعد ولمع البرق فدخل الرعب الى نفوس الاحزاب وخيل اليهم أن المسلمين قد إنتهزوها فرصة ليعبروا اليهم وليوقعوا فيهم. فقام طليحة بن خويلد فنادى إن محمدًا قد بدأكم بشر فالنجاة.. النجاة..

وقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع (الخيل) والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا فإنى مرتحل.

وعلمت غطفان بما صار إليه حال قريش فاشتدوا راجعين إلى بلادهم وهكذا تفرق شمل الاحزاب ضد الرسول.. وعندما ولد الصبح الجديد إذا بالمدينة خلاء وقد أرتحلت الاحزاب وإنفك الحصار وعاد الأمن وهتف رسول الله ﷺ (لا إله إلا الله وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده... وهزم الأحزاب وحده.. فلا شيء بعده...).

***



الفصل السابع عشر ....

وانكسرت شوكة اليهـــود .. !

وانكسرت شوكة اليهـود

بعد أن منَّ الله على المسلمين بهذا النصر المؤزر على الأحزاب أمر الـرسول ﷺ بـلالا أن ينادى في النـاس (من كـان سامعًـا مطيعًا فـلا يصلين العصـر إلا فى بنى قـريظـة) وكان ذلـك صبيحة يـوم الخنـدق واجتمع ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين وساروا إلى حصون بنى قريظة وكـان القوم على غـوايتهم فقـد نظـروا إلى المسلمين ثم سبـوا الرسـول ونساءه سبًا قبيحًـا ولما جاء الرسول لقيـه على بن أبى طالب وطلب منه ألا يدنو من حصون اليهـود فسأله الرسول ولم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ فقال نعم . . قال الرسول لو رأونى لمـا قالوا من ذلك شيئا . وأمر الرسول بحصار الحصون وظل الحصار خمسًا وعشرين ليلة . . وعرض عليهم زعيمهم كعب بن أسد ثلاثة حلول إما أن يؤمنوا بمحمد أو يقتلوا نساءهـم وأولادهم ثم يخرجـوا لقتال محمـد أو النزول فورًا إلـى محمد وكان اليوم سبت فرفض القوم كل الحلـول ولما طال الحصار طلبوا من الرسول ان يرسل إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه فى أمرهم وكان حليفهم وصديقهم . فأذن له النبى فـذهب اليهم فسألوه (أترى ان ننزل على حكم محمد (فقال لهم نعم إنه الـذبح . واستسلم بنو قريظة فأمر الرسول فأوثقوا وتشفع لهم نفر من الأوس فطلب الرسول منهم ان يدعوا اليهود يختـارون أحد الأوس ليحكم بينهم فأختاروا سعد بن معـاذ سيد الأوس وقـالوا لـه (يا أبـا عمـرو ان رسول الله ﷺ قـد ولاك امر مـواليك لتحكم فيهم فقال سعـد عليكم بذلك عهد الله وميثاقـه أن الحكم كما

حكمت فقالوا . . نعـم . وقال الرسول أيضا . . نعم . . فقـال سعد إنى أحكم أن تقتل الـرجال وتقسم الأمـوال وتسبى الـزرارى والنساء . فقـال الرسول لقد حكمت فيهم بحكم الله . وخرج الـرسول إلى سوق المدينة وجىء بهم وهم بين ثمانمائة أو تسعمائه وضرب أعناقهم .

غزوة بنى لحيان

بعـد ستة أشهـر من القضـاء على بنى قـريظة جـاءت الأخبـار إلى الرسـول بوجـود شىء من الحركـة فى ناحيـة مكة ففكـر النبى أن ينتقم لخُبيب بن عدى وأصحابـه ممن قتلهم بنو لحيان عند مـاء الرجيح منذ سنتين على أن الرسـول لم يجهر بقصده خيفة أن يتخـذ العدو الحيطة لنفسه فأظهر أنه يريد الشام ليصيب مـن القوم غرة فأخذ قواته ويمم بها شمـالاً فلمـا اطمأن إلى أن قـريشـا وجيـرانهـا لـم يبق منهم من يفطن لمقاصـده انفلت راجعا إلى نـاحية مكة وأخـذ السير مسرعًا حتى بلغ منـازل بنى لحيان فى بقـران لكن قـوما رأوه أول إنجـذابه إلى الجنـوب فعرف منهم بنو لحيـان قصده إياهم فاعتصمـوا برؤوس الجبال ومعهم متاعهم . وهكذا فات النبى ان يصيبهم . .

غزو ذى قـــرد

ذو قرد إسم ماء وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة الغابة .

لم يكد الرسول يقيم فى المدينة بعد عودته إليها من بنى لحيان حتى أغار عيينـه بن حصن على أطرافهـا وكان بظاهـرها على مسيـرة يوم من المدينة فى مكان يسمى الغابة بها إبل ترعى يحرسها رجل وامرأته فقتل

عيينه وأصحابه الرجل وساقوا الإبل و إحتملوا المرأة و إنصرفوا. لكن سلمة بن عمرو بن الاكوع الأسلمي كان قد غدا يريد الغابة متوحشا قوسه ونبله فلما مر على (ثنية الوداع) وأشرف على ناحية من (شلع) أبصر القوم قد اقتادوا الابل و إحتملوا المرأة فصاح وأصباحاه وجعل يشتد فى أثر القوم حتى إذا اقترب منهم رماهم بالنبل وهو يصيح. وبلغ الرسول صياح سلمة فصاح فى أهل المدينة الفزع . . الفزع وانطلق الفرسان بقيادة المقداد بن عمر فى أثر القوم وجهز الرسول قواته وسار على رأسهم يتبعهم حتى نزل بالجبل من ذى قرد وكان الفرسان قد أدركوا مؤخرة القوم فأنقذوا المرأة وبعض الإبل وأرداوا مطاردة المعتدين ولكن الرسول ردهم لأن الأخبار قد جاءته من عيونه تؤكد بأن المعتدين قد احتموا بغطفان.

غزوة بني المصطلق

أقام الرسول بعد ذلك قرابة شهرين بالمدينة ثم كانت غزوة بنى المصطلق بالمريسيع حيث جاءت الأخبار إلى الرسول من عيونه المبثوثة أن بني المصطلق وهم فرع من خزاعة وقد آزاروا قريشا فى غزوة أحد يجمعون للمسلمين فى حيهم على مقربة من مكة وأنهم يحرضون على الرسول يريدون قتله وعلي رأسهم قائدهم الحارث بن أبى ضرار وقد تأكد النبى من جمعهم عندما أخبره أحد البدو بذلك فأسرع فى الخروج ليأخذهم على غرة . ولقى الرسول فى طريقه جاسوسًا لبنى المصطلق وحاول أن يعرف منه شيئا عن أحوالهم فرفض الرجل ان يتكلم. فأمر الرسول عمر بن الخطاب فضرب عنقه وسار الرسول إلى

مـاء يسمى (المـريسع) ودارت الحـرب وقتل من بنى المصطلق عشـرة رجـال وأمام قـوة المسلمين أعلن القـوم إستسـلامهم وكانـوا اكثـر من سبعمـائة فأخـذوا اسـراهم ونسـاءهم ومتـاعهم وكـان ضمن الاسـرى حويـريه بنت الحـارث فأعتقها النبى وتـزوج بها وأدى هـذا الزواج إلى اطلاق سراح الاسرى فلما علم بنـو المصطلق بذلك جاءوا إلى الرسول وأعلنوا إسلامهم وصاروا قوة للإسلام بعد أن كانوا حربًا عليه .

غارة على بني بكـــر

اجتمع لفيف من الخزرج وقرروا أن يقتلوا زعماء اليهود وكان أول من قتل منهم سلام بن أبى الحقيق وقتله عبد الله بن عتيك . ثم ارسل النبى سرية برياسة محمد بن سلمـه فى ثلاثين راكبا فشنوا غارة على بنى بكر بن كـلاب وكانـوا بمكـان على مسيرة سبـع ليال من المـدينـة وكانـوا يضـارون الله ورسولـه والمسلمين فهزمتهم السـرية وقتلت منهم عشـرة رجال .

سرية إلى بني أسـد

علم الـرسول أن بنى أسـد يمكـرون بالمسلميـن فبعث إليهم سريـة بقيادة عكاشة بن محصن فى أربعين راكبـا فهرب بنو سليم من منازلهم وعاد عكاشة ومعه مائة من الابل .

سرية إلى ذى القصة

علم الرسـول من رجال مخابراتـه أن أعرابا بذى القصة (مـوقع قرب المدينة) يعتزمون الإغارة على المدينة فأرسل اليهم محمدًا بن سلمة فى

عشرة من المسلمين فأستشهدوا جميعا إذ أخـذهم اعداؤهم على غرة . فأرسل الرسول أبا عبيـدة على رأس جيش كبير ليقتص منهم فلما علموا بمقدمه هربوا إلى الجبال .

سرية إلى بنى سليم

كـانت قبيلة بنـى سليم تضير المسلمين فى تجـارتهم فأرسل اليهـا الرسول زيـد بن حارثة فلما علموا بمقـدمه هربوا ولكن زيـدًا وجد امرأة منهم فأستجـوبها وعلم منهـا مكانـًا يختبىء فيه بعض الاعـداء فقبض على عشرة منهم وكان زوج المرأة أحدهم فعفا عنه الرسول إكرامًا لها .

سرية إلى بنى كلب

جهز الرسول جيشا كبيرًا بقيادة عبد الرحمن بن عوف لغزو بنى كلب فى دومة الجندل فأسلم القوم ودفع الجزية من لم يسلم .

غزوة يهود خيبر

بعد عودة الرسول من صلح الحـديبية بخمسة عشر ليلة (وشهر فى قول آخر) أمر الناس بالتجهيـز لغزو يهود خيبر على ألا يغزو معه إلا من شهد الحـديبية إلا أن يكـون غازيـا متطوعـا ليس له من الغنيمـة شىء وإنطلق المسلمـون فى ألف وتسعمائة ومعهـم مائة فـارس وكلهم واثق بنصر الله وقطعوا مراحل الطريق ما بين المـدينة وخيبر فى ثلاثة أيام ولم تكد خيبر تحس فى اثناءها حتى بات المسلمون أمام حصونها وأصبح الصبح وخـرج عمـال خيبـر خـارجين إلى مـزارعهم فلمـا رأوا جيش المسلمين ولـوا الأدبـار يتصـارعون هـذا محمـد والجيش معـه . وقـال

الرسـول حين سمع قولـه (خربت خيبر إنـا إذا نزلنا بسـاحة قـوم فساء صبـاح المنـذرين) وخيبـر مـدينة كبيـرة ذات حصـون فـوق الصخـور والجبال ومزارع وقد آزاروا الاحزاب فى غـزوة الخندق وكانوا أشد اليهود عداوة للرسول ورغم مفاجأة النبى لهم ألا انهم كانوا يتوقعون أن يغزوهم الرسـول . ووقف المسلمون أمام حصـون خيبر كاملى العـدة . وتشاور اليهود فيمـا بينهم فأشار عليهم زعيمهم (سلام ابن يشكم) أن يـدخلوا أمـوالهم وعيالهم حصنـى (الوطيح والسـلالـم) وأن يـدخلوا ذخـائرهم حصن (نـاعم) وأن يـدخل المقـاتلون وأهل الحـرب (حصن نطـاة) فوقف الـرسول بـالجيش أمام حصن النطـاة فجاءه الحبـاب بن المنذر وقال (يا رسول الله إنك نزلت منزلك هـذا فإن كان عن امر أمرت به فلا نتكلم و إن كان هو الرأى تكلمنا) فقال لـه الرسـول (هو الرأى) فقال الحباب (يا رسول الله إن أهل النطاة لى بهم معـرفة فليس قـوم أبعد مـدى منهم ولا أعدل رميـة منهم وهم مـرتفعـون علينا وهـو أسـرع لإنحطاط نبلهـم . تحول يا رسول الله) .

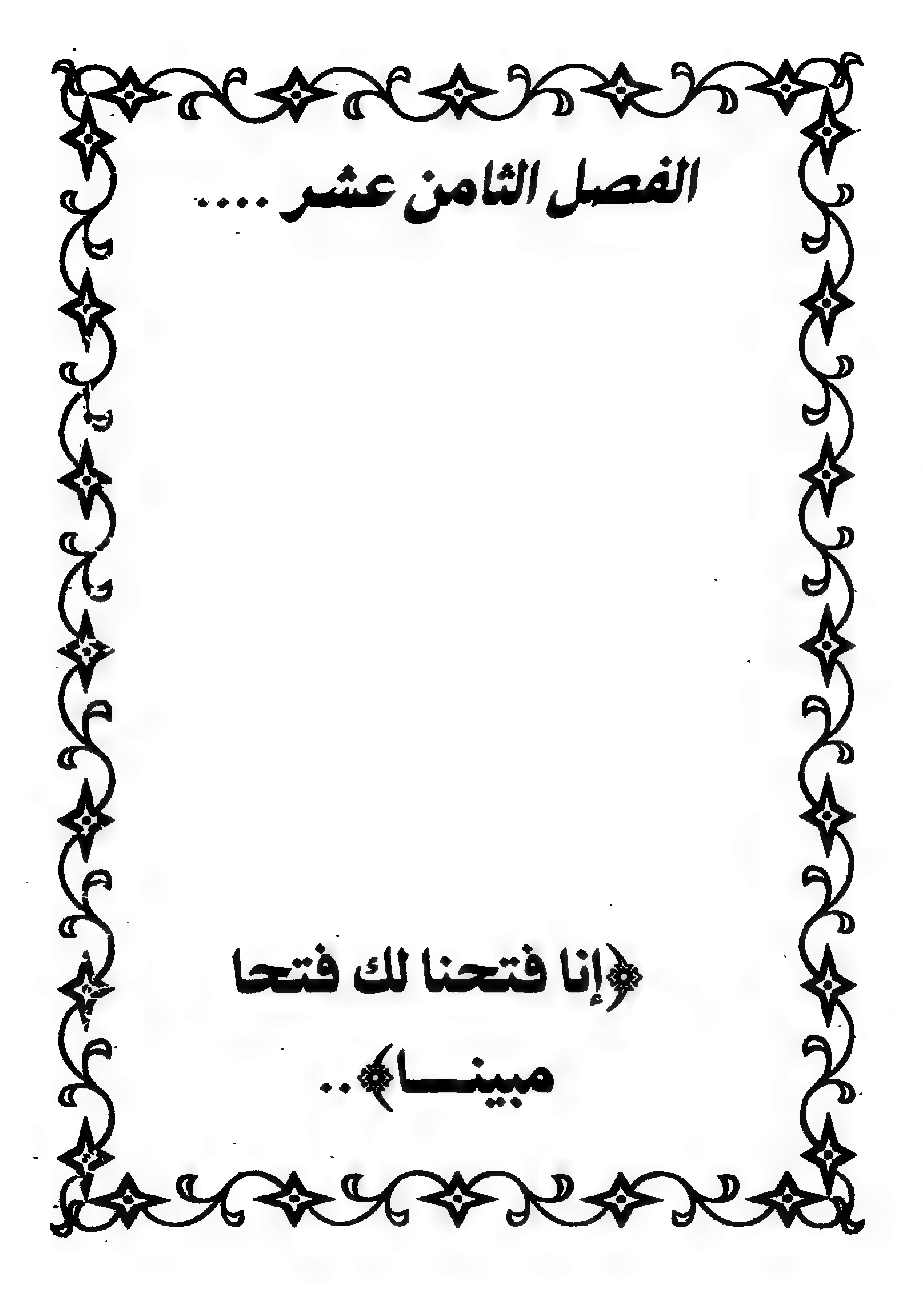
ونزل الـرسول على رأي الحبـاب وتحول إلى حصـن ناعم وحـاصره سبعة أيام وكان يعطى الراية كل يـوم لواحد من كبار الصحابة . وخلال الليله السـابعة من الحصـار كان عمـر بن الخطاب هـو رئيس الحرس فالقى القبض على أحـد اليهود وأمر بضرب عنقـه إلا أن اليهودى طلب منـه أن إذا أمنتمـونى علـى حيـاتى فإنى أدلكم بأخبـار أنتم فى أشـد الحـاجة إليهـا وفيها نجـاحكم . إن القوم قـد أجهدهم الحصـار وهم يرسلون الاطفال الى حصن أخر إذ قـرروا أن يناجزوكم غدًا فإذا فتح الله

عليكم هذا الحصن فإنى أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات وسيوف ودروع تعينكم على فتح بقية الحصون. وفى الصباح استدعى الرسول (على بن أبى طالب) وأعطاه الراية وولاه القيادة قائلاً له خذ الراية فأمض بها حتى يفتح الله عليك وهجم أحـد اليهود على (على) فطرح تـرسه من بين يديه فتناول (على) بابًـا وجده عند الحصن ودافع به عن نفسه وظل يقاتل بـه حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يـده وراء ظهره. وفتح المسلمون حصون اليهـود حصنا بعد الأخر مـا عدا حصن الوطيح والسلالـم فقد فتح صلحا عندما عقـد الرسول ﷺ صلحا مع يهود خيبر على أن يـزرعوا الأرض ويخدمـوا النخل ولهم نصف الغله وكـان صلح خيبر فـاتحة خيـر على المسلمين حيث بعث النبى إلى يهـود فدك أن يسلموا برسالته أو يسلموا أموالهم فأصـابهم الرعب بعد خيبر فتصالحوا على نصف أموالهم من غير قتال.

أما يهود وادى القري فأبوا أن يستسلموا أو يصالحوا فسار إليهم النبى وحاصرهم ثم قـاتلهم وهزمهم وانتهى بهم الامر إلى قبـول الوضع الذى قبله أهل خيبر.

وهكـذا فقد تمكن الـرسول عليـه السـلام من كسر شـوكة كل يهـود الجزيرة العربية.





الفصل الثامن عشر ....

﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينـــا﴾..

إنا فتحنا لك فتحا مبينا..

أصبح المسلمون بعد العديد من الغزوات والسرايا مرهوبى الجانب فى كل الجزيرة العربية فطاقت أفئدتهم إلى نشر دين الله الحنيف خارج حدود الجزيرة كبدايات وإرخاصات للفتح المبين الذى سيمن الله به على رسوله والمسلمين.

غزوة مؤتة

مؤتة مدينة معروفة بالشام على مسافة مرحلتين من بيت المقدس وقد وقعت الغزوة فى العام الثامن من الهجرة ولم يشترك فيها الرسول : وهناك قولان فى سبب هذه الغزوة الأول أن الرسول قد بعث الحارث بن عمير الأذى إلى أمير بصرى من جهة هرقل ويسمى الحارث بن أبى شمر الغسانى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى وقال أين تريد؟ فقال الشام.. فعاد يقول لعلك من رسل محمد؟ فقال له نعم.. فأمر به فأوثق ثم ضرب عنقه وقيل إن القتل قد تم بإسم هرقل وقد حزن الرسول على مقتله وقرر ان ينتقم له.

أما القول الاخر فهو أن الرسول كان قد أرسل خمسة عشر رجلاً إلى ذات الطلح على حدود الشام يدعون إلى الإسلام فكان جزاؤهم القتل ولم ينج الا رئيسهم وقد بعث الرسول ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة قاتلوا فى مؤتة مائة الف وفى رواية اخرى مائتى الف وخرج مع المسلمين لأول مرة خالد بن الوليد بعد إسلامه وسار الرسول مع الجيش

مودعًا ثم قال لهم . . (إغزوا بإسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تضلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرًا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخيلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناءً) .

ونزل جيش المسلمين إلى معان وعلموا أن جيش هرقل الكبير قد نزل بأرض البلقاء فتبادل المسلمون الرأى وقال البعض نكتب إلى رسول الله فنخبره الخبر فإما أن يمدنا بالرجال و إما أن يأمرنا بأمر فنمضى له . ولكن عبد الله بن رواحه أنهى الموقف قائلا (يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون ألا وهى الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور و إما شهادة) . فتشجع الناس وقالوا صدق ابن رواحه وتقدم المسلمون إلى قرية مشارف فلما رأوا جموع هرقل إنحازوا إلى قرية مؤتة حيث رأوها خيرًا من مشارف لتحصنهم بها ودارت معركة غير متكافئة بين الجيشين وحمل الراية زيد وقاتل حتى قتل فحملها جعفر بن أبى طالب فقاتل حتى قطعت يمناه فأمسك الراية بيسراه حتى قطعت فأمسكها بعضديه حتى قتل فأمسك الراية عبد الله بن رواحه . فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أرقم العجلانى وقال (يا معشر المسلمين إصطلحوا على رجل منكم) فقالوا أنت . . قال (ما أنا بفاعل) وأخيرأ إصطلحوا على أن يتولى القيادة خالد بن الوليد فذهب إليه ثابت وقال له أنت أعلم بالقتال منى وكان خالد قائدا ماهرًا ومحركا للجيوش قل نظيره وعندما جن الليل أصدر خالد أوامره وداور بالمسلمين حتى ضم صفوفهم وأعاد تنظيم الجيش فجعل

الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة والساقة مقدمة والمقدمه ساقة ووزع عددًا غير قليل من رجاله فى خط طويل من مؤخرة جيشه أحدثوا إذا أصبح الناس من الجلبة ما أدخل فى روع الأعداء أن مددًا جاء من عند النبى وإذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالروم الأفاعيل فى اليوم الأول وقتلوا منهم خلقا كثيرًا فما عسى أن يصنع هذا المدد الذى جاء ولا يدرى أحد عدته . ولذلك تقاعس الروم عن مهاجمة خالد وجيشه وسروا بعدم مهاجمته إياهم وظل خالد يناوش الروم سبعة أيام وهو فى نفس الوقت ينسحب حتى وصل بجيشه سالمًا إلى المدينة.

عمليتان ضد قضاعة

علم الرسول من رجال مخابراته أن قبيلة قضاعة على ساحل البحر الأحمر تعد لحرب المسلمين فجهز جيشا قوامه ثلاثمائة مقاتل منهم عمر بن الخطاب بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ورغم التعب الشديد الذى لقيه الجيش فى الطريق حتى أنهم أكلوا أوراق الشجر إلا أنهم عادوا دون أن يحاربوا أحد. أما العملية الثانية فقد أرسل الرسول جيشا قوامه ثلاثمائة مقاتل بقيادة عمر وبن العاص بعد أن أسلم . فلم علم عمرو بكثرة عدد العدو طلب المدد من الرسول فأمده الرسول بما طلب والتحم الجيشان وانتصر جيش المسلمين على قضاعة.

غزوة ذات السلاسل

أراد الرسول بعد أسابيع من غزوة مؤتة ان يسترد هيبة المسلمين فى شمال شبه الجزيرة فبعث عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام

وذلك لأن لـه قرابـة فى قبائل تلـك النواحى فكـان من اليسير عليـه أن يتألفهم فلما كان على ماء بأرض جـذام يقال له السلسل بلغه أن العدو ذو عدد كبيـر فطلب مددًا فأرسل له الـرسول مائتى رجل فيهم أبـو بكر وعمـرو وعلى رأسهـم أبـو عبيدة بـن الجراح والتحم الجيشـان وانتصـر المسلمون وفـر أعداؤهم فمنع عمرو المسلمين من إقتفاء أثـر العدو أو إيقاد النار ولمـا عاد الجيش شكى الجند إلى الرسـول فسأل عمرو عن سبب أوامره تلك فقال (كرهت أن أذن لهم أن يـوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد) .

الغزوة الكبـــــرى.. فتح مكة

رأت قـريش فى عـودة المسلمين من مـؤتة هـزيمـة لهم فتشجعت ورأت أن تنقضهم العهد الـذى بينها وبين الرسول فى الحـديبية وشجع ذلك قبيلـة بنى بكر وهم من أنصـار قريش أن تهـاجم خزاعـة وهم من أنصار الرسول فأسرع عمرو بن سـالم الخزاعى ومعه بديل بن ورقاء إلى الرسـول لإخباره بنقض العهـد فقال النبى (نصـرت يا عمرو بـن سالم) وقرر أن يعد العـدة ليهاجم قريشا داخل مكة. وأدركت قريش مـا جرته على نفسهـا من شـر بسبب نقضهـا العهـد بمـا أعـانت بكـرا على خزاعـه . وتشاوروا وقرروا إرسـال بعثة إلى الرسـول يقودها أبـو سفيان زعيم قـريش وفى الطـريق لقى أبـو سفيـان بـديل بن ورقـاء عـائدًا من المدينة فسألـه من أين أنت قادم يابديل ؟ فقال من زيـارة لخزاعة على الساحل فعاد يسأله أو ما جئت محمدًا؟ فقال لا. . ولما انصرف عرف أبو سفيـان أنه وجـد محمدًا إذا وجـد فى مكان رحـاله النـوى مختلطا

بـروث الابل (علف يثرب) ولهـذا قرر ألا يلقى محمـدًا مباشـرة وجعل وجهته بيت ابنته أم حبيبه زوج الرسول واساءت أم حبيبـة إستقبال أبيها فذهب إلى الرسول وكلمه فى إطالة مدة العهد فلم يرد عليه فذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم إلى على وفاطمة ففشل فى كل وساطاته .

وفى المقابل أمر الرسول ﷺ بتجهيز الحملة إلى مكة وقرر أن توضع خطة الاستيـلاء على مكـة دون إراقة دماء ولهـذا إعتمدت الخطـة على المفاجأة ومباغتـة القوم بما لا يجدون له دفعا فيسلمـون دون إراقة دماء وأمر الرسول بحراسـة الطرق إلى مكة والقبض على كل من يُستراب فيه وكان عمر هو الذى يقود الحراسـة وكان يقول (لا تدعوا أحدا يمر بكم إلا رددتموه) وبينما الجيش على أهبة الاستعداد للسير كتب(حاطب بن أبى يلتعة) رسالـة أعطاها إمرأة من مكـة مولاة لبعض بنى عبد المطلب تسمى (سارة) واستأجـرها بعشرة دنـانير وقال لها (اخفيـه ما استطعت ولا تمرى على الطـريق فإن عليه حرسًـا) وعلمت عيون الرسول بـالخبر فبعث النبى عليـا والـزبيـر والمقـداد بن الاسـود وراء المـرأة وقـال لهم إنطلقوا حتى تأتـوا روضة خاخ فإن بهـا ظعينه (إمرأة) معهـا كتاب من حاطب بن أبى يلتعـة إلى المشركين فأخذوه منها فأنطلقـوا وراءها حتى قبضوا عليها وقالوا لها إخـرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب فقال على ما كـذب رسول الله لتخـرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثيـاب وازاء هذا التهديـد قالت المرأة لعلى أعـرض ثم حلت شعرها وأخـرجت الكتاب فـذهبـوا بـه إلى رسول الله و إذا بـالكتـاب مـوجـه إلى سهيل بن عمـرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وفيه (إن رسول الله جاءكم بجيش

عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم) فدعا الرسول حاطبا وسأله عن الدافع لإرساله هذا الكتاب فقال (يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت إمرأ ليس له فى القوم من أهل وعشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم) قال عمر بن الخطاب دعنى يا رسول الله فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق . فرده الرسول برفق قائلا (وما يدريك يا عمر لعل الله قد إطلع على إصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وكان حاطب من كبار المسلمين ومن أصحاب بدر وفى هذا الموقف نزل قول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ [الممتحنة آية ١] .

وهكذا تم إخفاق المحاولة الوحيدة التى بذلت لتوصيل الاخبار عن الحملة إلى قريش . وبعث الرسول إلى قبائل العرب من حوله مثل « أشجع - غفار - سليم - مزينه - جهينه - غطفان) وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحضر رمضان بالمدينه) فتدفقت الجموع على المدينة وبلغ جيش المسلمين من عشرة إلى اثنى عشرة الف مقاتل وبدأ التحرك فى الليله العاشرة من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة وبلغ الرسول (الظهران) على أربعة فراسخ من مكة دون ان تعلم قريش ولكن العباس عم النبى وقد قيل أنه قد أسلم قبل تأهب الرسول لغزو مكة ولكنه ظل يكتم إسلامه بأمر الرسول حتى يبقى فى مكة فيبعث له بالأخبار. وقد خرج العباس فى أهله حتى لقى الرسول بالجُحنه وأمر

النبى الجيش بإيقاد نار عظيمة فى الليل لإرهاب قريش فأضاءت نيران المسلمين الوديان والجبال ودعا الرسول عمه العباس ليكون سفيرًا إلى قريش يلقى الرعب فى قلوب القوم وشعرت قريش بالخطر الذى يتهددها وإنطلق أبو سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يستطلعون الامر ويتنسمون الأخبار وبينما العباس يسير على بغلة الرسول سمع حديثا بين أبي سفيان وبديل.

أبو سفيان.. ما رأيت كالليلة نارًا قط ولا عسكر.

بديل.. هذه والله خزاعة حمشها الحرب

أبو سفيان.. خزاعة أقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

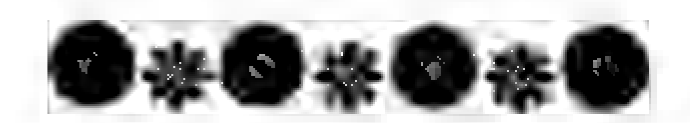
ونادى العباس أبا سفيان وقال لهُ ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله فى الناس وويل لقريش لو دخل مكة عنوة.. فسأل أبو سفيان وما الحيلة فداك أبى وأمى فأخذه العباس خلفه على بغلة الرسول ومر بين جنود المسلمين وعندما رآهما عمر سارع إلى خيمة الرسول وطلب أن يضرب عنق أبى سفيان. فقال العباس يا رسول الله قد أجرته وفى الصباح دار حوار طويل بين الرسول وأبى سفيان أسلم بعده أبو سفيان فقال العباس يا رسول الله (إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فأجعل له شيئا) فأجاب الرسول نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن وحرص الرسول على ان يمر هذا الجيش العظيم أمام أبى سفيان وهو فى طريقه إلى مكة فاسرع أبو سفيان إلى قريش يقول لهم. يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم

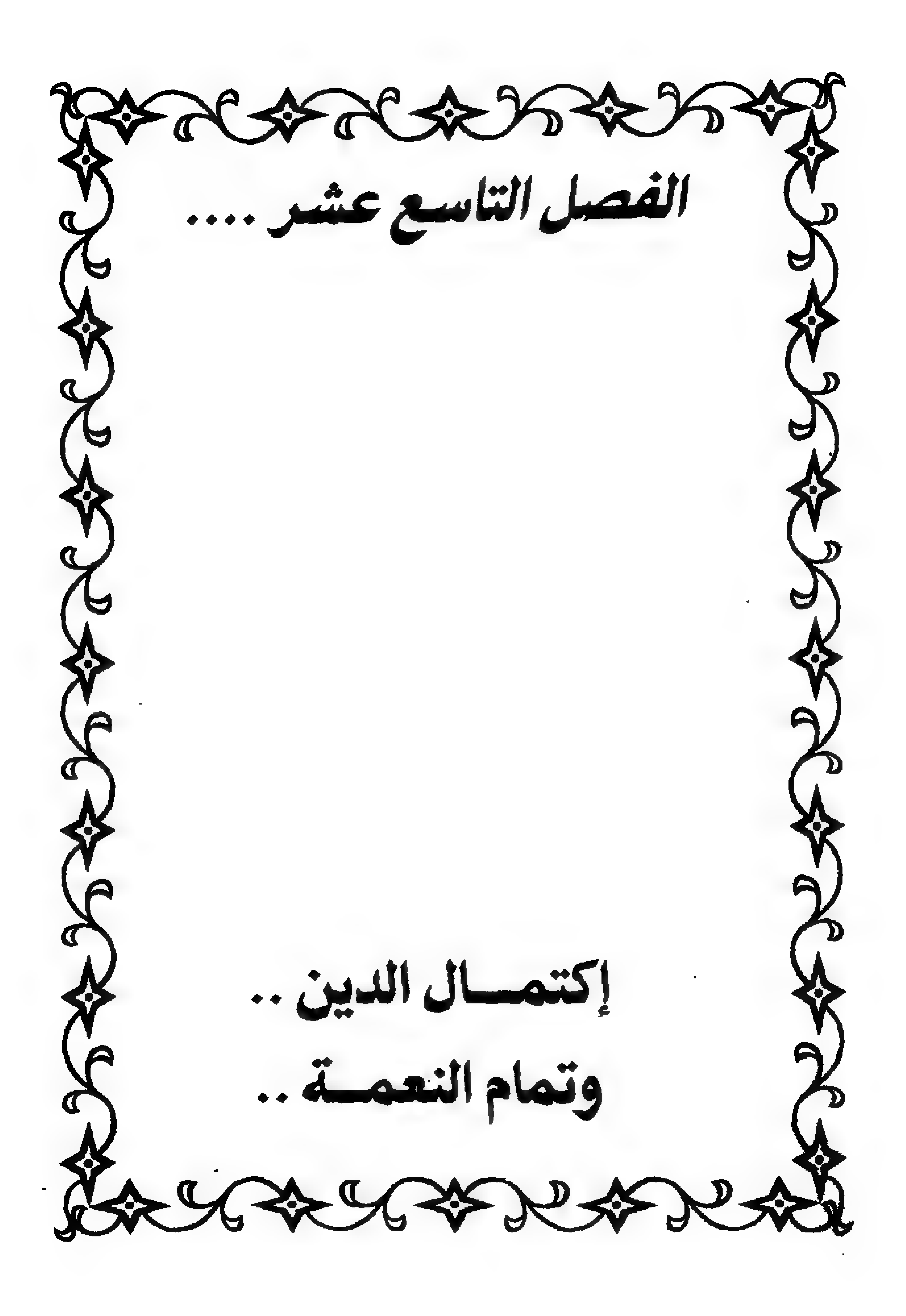
بما لا قبل لكم بـه فمن دخل دارى فهو آمن ومن أغلق عليـه بابـه فهو آمن ونزلت كلماتـه كالصواعق على الناس فأسرعـوا هاربين إلى بيوتهم ووهنت روح الحرب عندهم وتملكهم الخوف .

وصل الجيش الإسـلامى إلى أبـواب مكة عنـد (ذى طـوى) فقسم الرسول الجيش إلى اربع فرق وأمرها الا تقاتل وألا تسفك الدماء إلا إذا أكرهت على ذلك وكان الجناح الايسـر للجيش بقيادة الزبير بن العوام والجناح الأيمن بقيادة خـالد بن الوليد والأنصار بقيـادة سعد بن عبادة والمهاجرين بقيادة أبـو عبيدة بن الجراح ودخلت كل الأجنحة دون أي مقاومة الا جيش خالد الذى دخل من أسفل مكة فلقى بعض المقاومة من عكرمة بن أبى جهل وصفوان وسهيل ولكن خالدا استطاع أن يتغلب عليهم وفر القـادة الثلاثة. ونـزل الرسول بـأعلى مكة قبالـة جبل الهند وضربت له قبة على مقربة من قرى أبى طالب وخديجة وامتطى الرسول ناقتـه القصواء وسـار بها حتى بلغ الكعبة فطـاف بالبيت سبعًـا ثم دعا عثمان بن طلحة ففتح الكعبة وتكاثر الناس فى المسجد فخطبهم وتلا عليهم قـول الله تعـالى ﴿ يـا أيها النـاس إنـا خلقناكم من ذكـر وأنثى وجعلناكم شعـوبا وقبـائل لتعارفـوا إن أكرمكم عنـد الله أتقـاكم إن الله عليــم خبيــــر ﴾ [الحجرات ـ ١٣] ثم سألهم يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟ فقـالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كـريم) فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعًـا . وأمر الـرسول ان تطمس كل الصـور فى الكعبة ثم نظـر إلى

الاصنام وقـــال (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهـــوقا) [الإسراء ـ ٨١] .

فوقعت الاصنـام جميعًا وتطهر البيت الحـرام منها وظل الـرسول فى مكة خمسة عشـر يومًا يفقه أهلهـا فى الدين ويرتب شؤونهـا ثم عادمرة أخرى إلى المدينة بعد تخوف أهلها من تركه لهم ليقيم فى موطنه الأول مكة .





الفصل التاسع عشر ....

إكتمـــال الدين ..
وتمام النعمــة ..

إكتمال الدين.. وتمام النعمة...

بعد أن فتح الله على رسوله بفتح مكة أصبح الإسلام قوة عظيمة تملأ قلوب الخصوم والأعداء بالرهبة والرعب. ولكن هذه الرهبة جعلت بقية قبائل الجزيرة العربية والتى ارتضت الشرك ورفضت الدخول تحت مظلة الإسلام تعمل جاهدة على التماسك لتدخل معركتها الاخيرة ضد محمد وأصحابه.

غــــزوة حنين

(حنين إسم موضع فى طريق الطائف) عندما وصلت أخبار إنتصار المسلمين فى مكة إلى هوازن خشيت أن تدور الدائرة عليها وأن يوجه إليها محمدضربته التالية فقام مالك بن عوف بالدعوة إلى حرب المسلمين وغزوهم قبل أن يغزوهم وكان مالك شابًا فى الثلاثين من عمره و إجتمعت هوازن وثقيف ونصر وجشم فتم إعداد ثلاثين ألف مقاتل ومعهم أموالهم ونساءهم وصغارهم وأمر مالك جيشه ان ينحاز إلى قمم حنين عند مضيق الوادى وقد جاءت العيون إلى رسول الله بأخبار هوازن فبعث النبى من يستطلع الامر وتأكد له أمر الجمع فتجمع جيش المسلمين فى إثنى عشرة الف مقاتل من بينهم مسلمى مكة بعد الفتح.

وقد بنى مالك بن عوف خطته على أساس وجود الخيل صفوفًا ثم المشاة من خلفها ثم النساء فوق الإبل ثم البقر والإبل والغنم وراء ذلك

كلـه وتهدف الخطـة إلى الهجوم على المسلمين عنـد نزولهم الـوادي حتى تتضعضع صفوفهم فيختلط الحابل بالنابل .

وفى المقابل فقـد جعل الرسـول جيشه ستة ألـوية لواء المهـاجرين لعلى بن أبى طـالب ولـواء الخـزرج للحبـاب بن المنـذر ولـواء الأوس لأسيد بن حضيـر ولواء كل قبيلـة إلى زعيمها وكـان الرسـول على بغلته البيضاء فى مـؤخرة الجيش وسار خـالد بن الـوليد على رأس بنى سليم فى المقدمة .

وأرسل الرسول عبد الله بن أبى حدود بن الأسلمى إلى هوازن وأمره ان يـدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعـوا عليه فـدخل منهم ومكث يومـا سمع ما يقولونـه ثم عاد إلى الرسول وقال أنه قـد انتهى إلى أخبار مالك وكان عنـده مؤتمر من رؤسـاء هوارن فسمعه يقـول لهم (إن محمدا لم يقاتل قومًا قط قبل هذا المرة و إنمـا كان يلقى قومًا لا علم لهم بالحرب فيظهـر عليهم فإذا كـان السحـر فضعوا مـواشيكم ونسـاءكم وأبنـاءكم وراءكم ثم تكون الحملة منكم واكسروا إعتماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف وأحملـوا حملة رجل واحـد وأعلمـوا أن الحمل لمن حمل أولا) .

وفى المقابل كان مالك بن عوف قـد أرسل بعثة جواسيس من ثلاثة أفراد ينظرون إلى رسول الله و يعرفون خبـر جيشه ففعلوا ذلك وعادوا إليه وقـد تملكهم الفـزع وقالـوا رأينـا رجـالا بيضا على خيل بلـق فوالله مـا تماسكنا أن أصابنا ما ترى و إن أطعتنا رجعت بقومك فقال لهم أف لكم

بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفًا من أن يشيع قولهم فى الجيش.

وبدأ المسلمون ينحدرون من مضيق حنين فى وادى من أودية تهامة فشنت عليهم القبائل هجومًا عنيفا فأختلط امر المسلمين وأضطربوا وإختلت الصفوف وعمت الفوضى وتراجع الناس لا يلوون على شىء وولت القبائل الادبار وثبت الرسول مكانه وأحاط به جماعة من المهاجرين والانصار وأهل البيت وجعل ينادى الناس وهم يمرون به منهزمين أين أيها الناس أين؟ وحاول الرسول أن يندفع ببغلته البيضاء ليوقف هذا السيل من الهجوم العنيف إلا أن عمه العباس اعترض طريقه وأخذ يصيح يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة إن محمدًا حى فهلموا. . وإستجابت الجموع وارتفع في الميدان النداء الخالد (لبيك. . لبيك) وأرتد المسلمون إلى المعركة وأصبحوا وجها لوجه أمام هوازن فى الميدان واشتد القتال وانهزم الاعداء وانسحبوا وفروا تاركين نساءهم وأموالهم وأبناءهم وبلغ عدد الاسرى ستة الاف اسير نقلوا تحت الحراسة إلى وادى الجعرانة واستمرت المطاردة للفارين وأعلن الرسول أن من قتل مشركا فله سلبه وتبع المسلمون هوازن وأنزلوا بهم خسائر فادحة وتمكن مالك بن عوف من الفرار إلى الطائف وأحتمى بها وقد أنزل الله تعالى فى هذه الغزوة قوله تعالى ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى

المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروهـا وعـذب الـذين كفـروا وذلك جـزاء الكـافرين ﴾ [التوبة ٢٥ ـ ٢٦].

غزوة الطائف .. معركة الدبابات

بعد هزيمة هوازن هرب قائدها مالك بن عوف إلى الطائف ليحتمى بها فقرر الرسول أن يحاصر المسلمون الطائف ويضيقوا عليها الحصار وتلكُ كانت خطة الرسول في خيبر بعـد أحد وفى قريظة بعـد الخندق وكانت الطائف ذات أبواب تغلق على من فيها وهى من الحصون الآمنة وكان أهلهـا من ذوى الـدراية بحـرب الحصار وذوى ثـروة طائلـة ونزل المسلمون قريباً من الحصن (فى مكـان نزولهم أقيم مسجد الطائف) ولكن أهل الحصن نـالوهم بـالنبال فأصيب عـدد كبير وقتل إثنـا عشر رجـلا وتـراجع المسلمـون عن مـرمى النبـال ولجأ النبى إلى بنى دوس إحدى .نقبـائل المقيمة بأسفـل مكة وكان لهم علـم برمايـة المنجنيق وإستخدام الدبابات فى مهاجمة الحصون فجاءت طائفة منهم ومعهم المنجنيق والدبـابات وأخذ المسلمـون يرمون الحصن بـالنجنيق وبعثوا بالدبابات إلى الحصن وتحتها نفر من المسلمين يحاولون هدم الجدار وقاوم أهل الحصن الدبـابات بأن أحموا قطعًا من الحديـد بالنار حتى إذا إنصهرت القـوها علـى الدبابـات فحرقتهـا وإضطر المسلمـون إلى الفرار من تحتهـا خوفًـا من الحرق فأصـابتهم ثِقف من داخل الحصن بالنبال وعند ذلك أمر الرسول بقطع كروم الطائف وحرقها فجزعوا وبعثوا للرسـول (دعها لله وللـرحم) فقال الرسـول (أدعها لله وللـرحم) ونادى الـرسول فى ثقيف انـه معتق من جـاء إليـه من الطائف ففـر إليـه قرابـة

عشرين من أهلها عرف منهم ان بالحصن من الذخيرة ما يكفى أمدًا طويلاً فقرر الرسول رفع الحصار بعد شهرين من وقوعه على أن يعود إلى الطائف بعد إنتهاء الأشهر الحرام وأعلن الرسول أنه إن جاءه مالك بن عوف مسلما رد عليه ماله وأهله وأعطاه مائة من الإبل، فهرب مالك من الحصن وأسلم.

غزوة تبوك

تبوك إسم لعين فى مكان على مشارف الشام وسميت كذلك لأن الرسول كان قد نهى عن المساس بها فجاء اربعة من المنافقين وعبثوا بها فقال لهم الرسول (ما زلتم تبكون بها) والبوك معناه الحفر فى الشىء.

وقد جاءت الأخبار إلى الرسول من عيونه المبثوثة بأن الروم تتهيأ لغزوه. ولأن خطة الرسول كانت دائما مفاجأة الاعداء على حين غرة إلا أن هذه المرة لن تجدى هذه الخطة لبعد المسافة وكثرة العدد وشدة الحر ولذا أعلن الرسول أنه سيعد جيشا إلى بلاد الروم وبعث الرسل إلى قبائل العرب يدعوهم إلى القتال معه ودعا اغنياء المسلمين للمساهمة فى إعداد الحملة وراح البعض يعتذر بشدة الحر أو مخافة الفتنة من نساء الروم وبلغ الرسول ان بعض المنافقين إجتمعوا فى بيت سويلم اليهودى يحملون الناس على عدم الجهاد فأمر الرسول طلحة بن عبيد الله وبعض الصحابة بأن يحرقوا البيت عليهم فهربوا من النار ونجوا

ولكنهم لم يعودوا لمثلهـا ابدًا وكانـوا عبرة لغيـرهـم . وبلغ عدد الجيش أكثر من ثـلاثين الف ونزل الرسـول فى أرض لاعمارة بها فى مكـان هو أول مشارف الشـام من الجنوب اطلق عليـه (تبوك) واستطلع الـرسول المنطقـة قلم يجد أثـرًا لجيش الروم حيث إنسحبـوا عندمـا علموا قـوة جيش المسلمين . وصالح الـرسول قبائل المنطقـة (أيلة ـ الجـرباب ـ أذرع) وكتب لهم كتب أمن على أن يدفعوا الجزية .

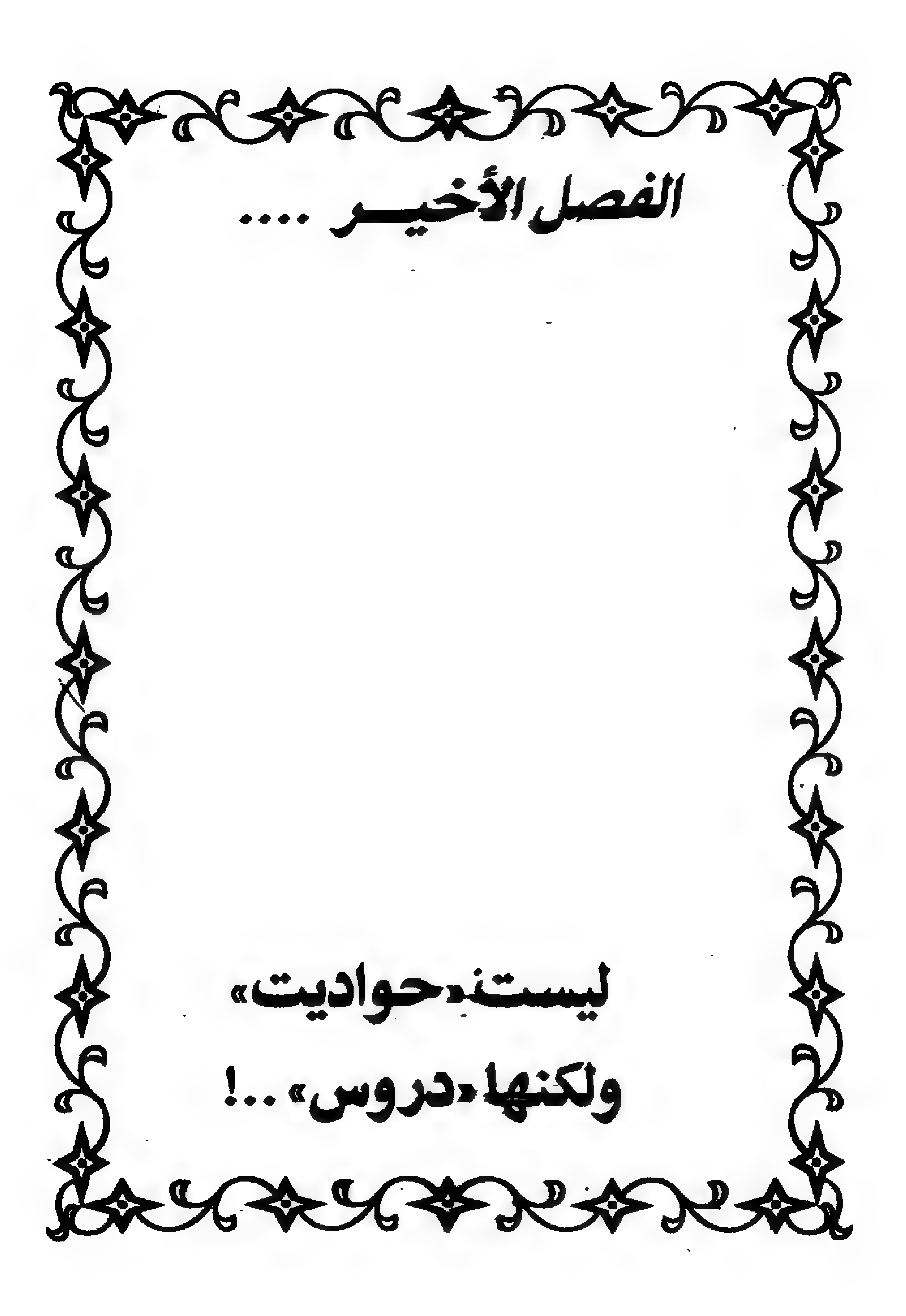
وبعث الرسول خالد بن الـوليد في خمسمائة مقاتل إلى ملك دومة (دومة الجندل) وهو أكيدر بن عبد الملـك وكان نصرانيا وذلك مخافة ان يساند الـروم إذا عادوا وأسرع خالد بالانقضـاض على دومة فى غفلة من مليكها الذى خرج فى ليلة مقمرة ومعه أخ له يسمى حسان يطاردان بقر الـوحش ولم يلق خالد أى مقـاومة فقتل حسان وأخذ أكيـدر أسيرًا وهدده بـالقتل إن لم تفتح دومة أبـوابها وفتحت المـدينة الأبـواب فداء لأميرهـا وعاد خـالد إلـى المدينة فعـرض الرسـول الإسلام علـى أكيدر فأسلم وأصبح للمسلمين حليفا .

وكانت هذه الغزوة هى خاتمة غزوات النبى وبإنتهائها تمت كلمة الله فى الجزيرة العربية وأمن الرسول كل عادية عليها وأقبل سائر أهلها وفودًا يقدمون الطاعـة ويعلنون الدخول فى الإسلام وقد عـرفت السنة التاسعة من الهجرة بعام الوفود لأن عددًا كبيـرًا من القبائل العربية وأهالى المدن قـد أخذت تفـد على الـرسول تعلـن خضوعهـا وحـرصها على دخـول الإسلام .

وهكذا يتحقق قول الله تعالى:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣].

●●●●●



الفصل الأخيـــر ....

ليست «حواديت»

ولكنها «دروس» ..!

ليست (حواديت) ولكنها (دروس) ..!

قد يتبادر إلى بعض الأذهان أننا لم نقدم خلال الصفحات السابقة إلا مجرد قراءة جديدة للسيرة النبوية قدمنا من خلالها بعض (الحواديت) برؤية جديدة تقتفى أثر علم المخابرات وفن الجاسوسية . ورغم أن هذه النظرة لاتسيء إلى علمنا الذى إجتهدنا فيه قدر الطاقة . . إلا أنها نظرة (جزئية ضيقة) لأن رحلتنا مع رسول الله ﷺ لم تكن مجرد حواديت ولكنها دروس وعبر ومنهج حياة يجب أن نتمثل جوهرها لنسير على هديها وذلك لأننا نرى أن عبقرية الرسول ﷺ تكمن فى (بشريته) وإجتهاداته الدنيوية وتوقد ذهنه ونظرته الموسوعية فإلى جانب أنه الرسول والنبى الذى حمل آخر وأكبر الرسالات السماوية إلا أن (الإنسان) فى داخله هو الذى حسم كثيرًا من الأمور الدنيوية وخاصة فى مجال الحرب والقتال. ويزداد إعجابنا وإنبهارنا بعبقرية الرسول العسكرية إذا نظرنا إلى ما قبلها بسنوات طويلة حيث لم يشارك الرسول عليه السلام قبل بعثته فى أية حروب كما أنه ظل طيلة ثلاثة عشر عاما فى مكة بعد البعثة بلا حروب أو قتال لأنه كما ذكرنا من قبل كان يهدف أولاً إلى نشر (تكتيكات الدعوة) أما بعد الهجرة إلى المدينة ونزول الإذن من الله بقتال المشركين اصبح الرسول عليه السلام يهدف إلى نشر (تكتيكات الدولة) لتولد على يديه دولة الإسلام ولم تولد هذه الدولة إلا من خلال الكثير من الحروب والمعارك ويجمع معظم المؤرخين على أن الغزوات فى عصر الرسول كانت سبعًا

وعشرين غزوة بينما كانت السرايا سبعا وأربعين سرية ولم يقاتل الرسول إلا فى تسع غـزوات ولكنـه كـان فى كـل الغـزوات والسـرايـا القـائد والمخطط صـاحب البصيـرة التى لا تخيب أبـدًا فأستطـاع وهـو النبى الأمى أن (يبتكر) الكثير من فنون الحرب والقتال وأيضا أن يبتكر الكثير من فنون المخـابرات والجاسوسيـة والتى لم تعرف إلا بعد رحيلـه عليه السلام بعـدة قرون، ومن خلال رحلتنا مـع غزوات وسرايا الـرسول التى تمت على مـدى عشر سنوات هى المـدة ما بين هجـرته الى المـدينة وبين رحيله إلى الـرفيق الأعلى نستطيع أن نستهلم العديـد من الدروس والعبر التى تمثل (منهـاج حياة) يصلح لكل زمان ومكـان ونستطيع لو تمثلنا جـوهره ومحتـواه أن نعود كمـا كنا فى مقـدمة الـركب الحضارى للعالم كله وفيمـا يلى نقدم أهم الدروس والعبر التـى استخلصناها من خـلال رحلتنا مع عبقـرية الـرسـول عليه الصـلاة والسلام فى الحـرب والمخابرات.

١ـ أهل الخبرة أم أهل الثقة

كان الرسول ﷺ يستعين دومًا بالخبير الحاذق حتى ولو كان من غير المسلمين فقـد استعمل فى هجـرته من مكـة إلى المـدينة عبـد الله بن أريقط وهو غير مسلم وكان عبـد الله بن أريقط من بنى الديل (الدئل) ابن بكـر وأمه من بنى سهـم بن عمرو وكـان مشركـا ولكنـه كان خبيـرا بالطرق والأودية وقد طلب الرسول قبل خروجه من مكة أن يأتيه فى غار ثور بعد ثلاثة أيام.

« وقد إستعمل الرسول الأدلاء فى معظم غزواته يدلونه على مسالك الطرق المؤديه إلى أية جهة يريدها وكان يختارهم ممن يعرفون طبيعة الأرض وتضاريسها وكثيرًا ما كان يختارهم من أهل البلاد التى لهم خبرة بها أو ممن اعتادوا زيارتها فقد إستعمل فى غزوة خيبر حيل بن خارجة وعبد الله بن نعيم من قبيلة أشجع النجدية التى يرتاد رجالها دائما منطقة خيبر. ولذا استطاع الرسول ان يصل إلى خيبر دون أن تعلم اليهود رغم علمهم المسبق عن طريق منافقي المدينة بتحركات الرسول.

٢ـ الإستكشاف وتحليل المعلومات قبل الغزو

كان الرسول عليه السلام لا يدخل معركة إلا بعد معرفة حالة العدو ومعسكراته ومواقعه العسكرية وطبيعة الأرض وكان يستقى كل هذه المعلومات من خلال بث السرايا وطلائع الاستكشاف لترقب حركات العدو والقضاء على جواسيسه قبل أن يوصلوا الاخبار إلى الأعداء وقد شمل هذا الحرص إلى جانب الغزوات الحربية تلك الغزوات التى لم يكن الرسول يهدف من خلالها إلى القتال والحرب فقد خرج عام الحديبية لا يريد حربا إلا أن إحتاط فبعث من يستطلع الأخبار لمعرفة تحركات العدو زيادة فى أخذ الحيطة والحذر وتنفيذا لأمر الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١] وقد إستخدم الرسول فى الحديبية عينا من خزاعة يخبره عن قريش.

٣ـ سرعة التلبية وإستثمار المواقف

كان الرسول ﷺ متوقد الذهن واسع الافق يمتلك الكثير من

اللماحيـة وقد أهله كل ذلك إلى (سـرعة التلبيـة) في أصعب المواقف وقد وضح ذلك أشد الوضوح في كيفية استثمار الرسول ﷺ لإسلام نعيم بن مسعود أثناء غزوة الخندق فمن خـلال حيلته الذكية تحقق قدر كبير من فشل الاحزاب بعدما وقعت الفتنة بين اليهود وبين قريش وأعوانها .

٤ـ شـدة الحرص من تسرب الاخبار إلى الأعـداء

من أهم ركائز مقـاومة جـواسيس الأعداء إتخاذ الإجـراءات السليمة في الحـرص على ألا تتسـرب الأخبار إليهـم ومن أهم وسائل مقـاومـة جـواسيس الأعداء الكشـف عمن يقومـون بأعمـال التجسس وتعقبهم ومتـابعـة نشـاطهم وذلـك لإحبـاط محـاولات العـدو للحصـول على معلومات عن طريق اعوانه وجواسيسه في الداخل . وقد حرص الرسول ﷺ على ألا تتسرب الاخبار إلى العدو وعمـل على مقاومة جواسيس قـريش في مكة والمـدينة فقـد بث الـرسول عيـونه ودوريـاته لتجـوب الدروب حول المدينة لتحول دون تسرب المعلومات إلى قريش كما بث عيونـه في الداخل ليمنع كل خبر يمكن ان يصل أو يتسـرب إلى قريش عن طريق عيونها داخل صفوف المسلمين ولأن الرسول كان يعلم مدى أهمية علم العدو بالمعلومات عن حركة المسلمين فقد دعا ربه قائلا (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نباغتها في بلادها) .

٥ـ أسرار القائد لنفسه فقط حتى موعد التنفيذ

حرص الرسول ﷺ على السريـة التامة في كل غزواته ولم يكن يعلن الأخبار إلا (ساعة الصفر) كما نسميهـا الآن فعند الهجرة لم يخبر أحدًا

إلا ليلتها عندما أخبر عليًا بن أبي طـالب وأبا بكر الصديق . وعند فتح مكة لم يخبر الرسول احدًا حتى عائشة عندما ساعدته فى إرتداء ملابسه وبعد الإعلام عن الغـزوة كان الحذر لا يفارق الرسول عليـه السلام فقد كان يستخدم الحـراسات لمنع تسرب المعلومات كمـا حدث فى غزوة حنين عندمـا تولى الحراسة أنس بن مـرثد العتوى وقال لـه الرسول (لا نفرن من قبلـك الليلة) كما تـولى عمر بن الخطـاب الحراسـة فى غزوة الفتح ومن قبله تولى أبـو بكر الصديق الحراسة فى رحلـة الهجرة. وقد ظفر الحرس فى غزوة خيبر بيهودى كـان له أثر كبير فى معرفة كل شيء عن حصون اليهود.

٦ ـ الإبتكـــار والتجديـد

ذكرنا ان الرسول ﷺ كان واسع الأفق، متوقد الذهن ، سريع البديهة ولذلك فقــد استطاع (إبتكار) وسائل جـديده لم تكن معروفـة قبله في عالم المخابرات ولـم تعرف إلا بعـده بعدة قرون وأفضل مثال على تلك الإبتكارات العظيمة ما يسمى (الأوامر المختـومة) وهى رسائل يحملها المكلف بما فيهـا ولا يفتحها إلا فى مكـان معين وزمان معين وهـذا ما حدث فى سرية عبد الله بن جحش.

٧ ـ شـبكة العيـون والمعلومـات

كان الرسول ﷺ يبث عيونه ورجال مخـابراته فى كل مكان بالجزيرة العربية ولذلك فإن غالبية غـزوات الرسول كانت على أرض الأعداء بعد معلومات وصلتـه من عيونه عن تربص هذه القبائل وإستعـدادها لغزو

المسلمين. فقبل فتح مكة كان العباس بن عبد لمطلب عم الرسول عينا له فى مكة وكان عبد الله بن حدرد الأسلمى عينه فى هوازن وغيرهما الكثير فى كل القبائل.

٨ ـ الشفرة سلاح الحذر ورفع المعنويات

من ابتكارات الرسول فى عالم الحرب والمخابرات ما يعرف الأن (الشفرة) أو الشعار او كلمة التعارف او اللحن المصطلح عليه فقد كان للجيش الإسلامى نداءات خاصة يصدرها القائد للجند فى الحرب وذلك نتيجة لتنوع الحركات فى الحرب والحاجة إلى إخفاء الحركة عن العدو فكان لكل حركة نداء خاص يدل لفظه على المراد به أو على معنى معين فعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله إنكم ستلقون العدو غدًا فإن شعاركم : حم لا ينصرون وقد كان للمسلمين على عهد الرسول شعارات كثيرة فى مختلف الغزوات مثل (أمت أمت ـ عبد الرحمن ـ عبد الله ـ الله اكبر ـ أحد أحد ـ يا أصحاب سورة البقرة).

واستخدام الشعار أو الشفرة بين المقاتلين يرفع معنوياتهم ويضمن لهم عدم معرفة العدو لما يقولونه وما يقصدونه من التخاطب بهذه الشفرة.

٩ ـ إعرف عدوك تهزمه

إعرف عدوك شعار انتشر فى البلاد العربية أواخر الستينات وذلك لمعرفة اليهود بعد هزيمة ١٩٦٧ ـ ولكن الرسول عليه السلام قد طبق هذا الشعار عمليا مع اليهود أيضا فقد تنبه الرسول لغدر اليهود

وخيانتهم وكان يستعمل منهم من يكتب له رسائله فأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة الأعداء من اليهود فعن زيد بن ثابت قال (أمرني رسول الله ﷺ أن اتعلم كلمات من كتاب اليهود وقال (إني والله ما آمن من يهود على كتابي) قال زيد فما مربي نصف شهر حتى تعلمته .

١٠ـ تحليل المعلومات أهم من المعلومات

لا يقاس نجاح أي جهاز للمخابرات في العالم بمدى (الكم) الذى يجمعه من المعلومات ولكن نجاح أي جهاز للمخابرات يتوقف على قدرته في (تحليل) هذه المعلومات وقد كان رسول الله ﷺ سباقا في هذا المجال ويتضح هذا كثيرا من خلال أحداث غزوة بدر فعند ما أرسل النبي ﷺ كلاً من بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعده وعدي ابن الزغباء الجهني حليف بني النجار ليستطلعا الاخبار سمعا حوار الفتاتين على ماء بدر ونقلاه الى الرسول فعلم منه موعد وصول قريش . وعندما إستجوب الرسول الغلام الذى جيء به من جيش قريش علم منه عدد مقاتلي قريش وذلك من خلال معرفته عدد الذبائح التى ينحرونها كل يوم .

١١ـ إختيار من فيه الكفاية لجمع المعلومات

إذا كان علماء المخابرات في العصر الحديث يؤكدون على أن الجاسوس الماهر ليس من يجيد فنون التخفي ولكنه من لا يحتاج إلى هذه الفنون . . فقد كان الرسول حريصًا عند إختياره لرجال مخابراته على أن يكونوا من أصحاب (المواهب الخاصة) وممن يتحقق فيهم

الكفاية والقدرة على التعامل مع أصعب المواقف مثلما حدث مع على ابن أبى طـالب ليلـة الهجـرة وحـذيفة بن اليمـان فى غـزوة الخنـدق. وتقديرًا لأهميـة المعلومات كان الـرسول ﷺ يسند أمر الحصـول عليها لمن يتمتع بصفـات خاصـة أهمها الصـدق والشجاعـة وكثيرًا مـا كان الرسول يعتمد على كل من الزبير بن العوام وعبد الله بن جحش ولنجاح الرسـول فى اختيار رجـال مخابراتـه فقد كانت المعلـومات تأتيـه دومًا صحيحة ودقيقة.

١٢ـ رجل المخابرات مقاتل كامل..

إذا كـانت الدول الآن تعـامل رجال مخـابراتهـا معاملـة خاصـة من خلال المـزايا التي يتمتعون بهـا فقد سبق رسـول الله ﷺ إلي ذلك فقد تعامل مع رجل المخابرات على أنه مقـاتل كامل له كل حقوق المقاتل على جبهة القتال فقد إرسل الرسول عليه السلام كلا من طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمر إلى طـريق الشام يتجسسان الأخبار عن عير قريش قبل غزوة بدر وقد رجعا إلى المدينة بعد إنتهاء الغزوة مباشرة ولم يحضـرا القتال ولكن الـرسـول أسبهم لكل منهما أي أعطى لكل منهمـا مثلمـا أعطى للمقاتلين من الفيء والغنـايم. وعن أبى هريـرة رضى الله عنه قال ان رسول الله بعث عشرة عيون فى غزوة بدر يتجسسون له.

المخابرات ...آخر وصايا الرسول

شاءت إرداة الله أن تكون آخـر وصايا الرسول قبل إنتقـاله إلى الرفيق الأعلى عن المخابـرات. فقد أمر الـرسول عليه السـلان بتجهيز جيش

أسامة بن زيد رضى الله عنه وبعد أن تجهز الجيش قال الرسول (يا أسامة سر على إسم الله وبركتع حتى تنتهى إلى فضل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأعز صباحًا على أهل إبنا (إبنا ـ موضع فى الشام وقيل اسم قبيلة) وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الاخبار فإن اظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون أمامك والطلائع).

وبعد أن أصدر الرسول أوامره بإنفاذ جيش أسامة مرض ﷺ مرضه الذى قبض فيه وأصبحت آخر وصاياه قبل إنتقاله إلى الرفيق الأعلى (وخذ معك الأدلاء وقدم العيون أمامك والطلائع) .

تم بحمد الله وتوفيقه

المراجـــع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ التوراة .

٣ ـ الأناجيل .

٤ ـ لسان العرب ـ إبن منظور .

٥ ـ المعجم الوسيط .

٦ ـ صحيح البخارى .

٧ ـ صحيح مسلم .

٨ ـ سيرة بن هشام .

٩ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد . .

١٠ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير .

١١ ـ السيرة الحلبيـــة .

١٢ ـ تاريخ الطبرى .

١٣ ـ مختصر السيرة النبوية لابن كثير .

١٤ ـ المغازى للواقدى ـ محمد بن عمر بن واقد .

١٥ ـ سبل الهدى والرشاد فى سير خير العباد ـ للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى .

١٦ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى .

١٧ ـ التجسس وأحكامه فى الشريعة الإسلامية ـ محمد راكان الدغمى .

١٨ ـ عيون التواريخ ـ محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى .

١٩ ـ تاريخ مصر القديمة «الفرعونية» ـ محمد عبد الباقى .

٢٠ ـ حياة محمد ـ د . محمد حسين هيكل .

٢١ ـ الحرب النفسية من معركة الكلمة والمعتقد ـ صلاح نصر .

٢٢ ـ المخابرات والعالم ـ سعيد الجزائرى .

٢٣ ـ المخابرات بين الوقاية والعلاج ـ أحمد هانى .

٢٤ ـ تاريخ بن خلدون .

٢٥ ـ تاريخ الإسلام ـ حسن إبراهيم حسن .

٢٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى .

٢٧ ـ الفن الحربى فى صدر الإسلام ـ عبد الرؤوف عون .

٢٨ ـ العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ عقيد محمد فرج .

٢٩ ـ ملحمة الإلياذه ـ هوميروس .

٣٠ ـ دائرة المعارف البريطانية .

٣١ ـ قاموس المصطلحات العسكرية الأمريكية .

٣٢ ـ حرب الدهاء ـ لادِسلاس فاراجوا .

٣٣ ـ صناعة المخابرات ـ آلان دالاس .
٣٤ ـ الجواسيس فى عملهم ـ رونالد سميث .
٣٥ ـ الحرب السرية ـ سانس دى جرامونت .
٣٦ ـ الجاسوسية على المشرحة ـ رونالد سميث .
٣٧ ـ فن الجاسوسية ـ رونالد سميث .
٣٨ ـ عدد كبير من المجلات والصحف العربية والأجنبية .

محتويات الكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٠٧١ / ٢٠٠١

I.S. B. N 977 - 01 - 7392 - X





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن على التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع

١٥٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب